

على وقع

انهيار

جنيف 3

سرقة الثورة

واستردادها

مآلات

الدولة

والمجتمع

ماذا حدث في

جنيف 3

المهمة الإعلامية الضرورية

لا تتوقف الأوضاع في سوريا على ما يحدث على الصعيد السياسي. ولم يكن المسار التفاوضي هو الوحيد في العقل السياسي السوري المعارض الذي بدأت يأخذ بزمام المبادرة ويدير الشأن السوري بالتعاون مع الأشقاء والأصدقاء.

هناك ما يقوم به العرب لاسترداد سوريا من براثن الغزو الإيراني الروسي، الذي جن جنونه في ذروة التفاهم الدولي حول تأمين مفاوضات جنيف. فقرر NSF جنيف ذاته بحرق الأرض في حلب ودرعا.

في هذه الأثناء يجري العمل على إعادة توحيد الكتائب المقاتلة على الأرض. وكذلك على الضفة العربية والإقليمية، فالتحدي لم يعد سوريا فقط، بل هي حرب وجود عربية لا مفر منها. سيكون على الجميع أن يدفع ثمن الهزيمة فيها إن وقعت. ولذلك نحن على يقين بأنها لن تقع. من دروس جنيف3، أننا بحاجة لخطاب سياسي إعلامي ثقافي ناضج. بعيد عن الإنشاء والتهويمات. ولعل هذا من مكاسب الأداء الرفيع الذي اتسم به عمل الهيئة العليا للمفاوضات. بكل أعضائها سواء في مرحلة الاجتماعات في الرياض أو لاحقاً في جنيف. لكن هذا الأداء يبقى بحاجة لإعلام رديف يواكب عمل السياسيين. وهو ما أسست له مشاريع سورية ثورية هامة، من بينها مجلة رؤية سورية، التي أرادت تقديم الفكر والتحليل السياسي والمعرفي والخبر الميداني والتحقيق، كي يكون داعماً للعمل السياسي، وليس عملاً مستقلاً بحد ذاته.

لم ينجح السياسيون يوماً دون توطيد الإعلام. ولم تتحقق أي إنجازات من غيرهِ. والولايات المتحدة الأمريكية أدركت أهمية قطاع الإعلام والاتصال للسيطرة على (مجتمع الإعلام) منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وتعتبره مجالاً استراتيجياً للحفاظ على نفوذها في العالم.. وإذا استعرضنا دور الإعلام في الحرب الذي يتم تنفيذه على مستويين: مستوى جبهة القتال على أرض المعركة، والمستوى الثاني كسب عقول البشر وقلوبهم من خلال الدعاية والحرب النفسية.. وكما جاء في دراسة من العبدالله سنو عن (العرب في مواجهة تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال) ذكر أنه في الحرب العالمية الثانية كان للراديو دور فاعل كوسيلة دعائية وفي حرب فيتنام كانت تجسيداَ مهماً لدور التلفزيون، أما حرب الخليج الثانية فقد تزامنت مع بداية الفضائيات التلفزيونية التي تمثلت في شبكة سي إن إن الاخبارية ثم جاءت الحرب على أفغانستان لتصنع الشهرة الدولية لقناة الجزيرة العربية، ثم تلتها الحرب على العراق واحتلاله والتي مثلت تعميقاً لدور الفضائيات والإنترنت ومحاولة توظيفهما للتوظيف الأمثل.

يذكر ناعوم تشومسكي في كتابه (السيطرة على الإعلام) أن أول عملية دعائية حكومية في العصر الحديث كانت أثناء إدارة الرئيس وودر ويلسون الذي انتخب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية عام 1916م وفق برنامج انتخابي بعنوان (سلام بدون نصر) وكان ذلك في منتصف الحرب العالمية الأولى. في تلك الأثناء كان المواطنون مسالمين لأقصى درجة ولم يبدوا حماساً للتورط في حرب أوروبية. بينما كان على إدارة ويلسون التزامات تجاه الحرب، ومن ثم كان عليها فعل شيء ما حيال هذا الأمر فقامت الإدارة بإنشاء لجنة للدعاية الحكومية أطلق عليها (لجنة كرييل) وقد نجحت هذه اللجنة خلال ستة أشهر في تحويل المواطنين المسالمين إلى مواطنين تملكهم الهستيريا والتعطش للحرب والرغبة في تدمير كل ما هو ألماني وخوض الحرب وانقاذ العالم.

الإعلام ليس أمراً ترفيهياً يمكن التخلي عنه. وليس مهمة ثانوية يمكن ركنها جانباَ. ولا يتوجب إلقاء تلك المهمة على كاهل المتحدثين من السياسيين فقط. بل على الهيئة العليا للمفاوضات إيلاء الإعلام كامل الاهتمام. فالحق يحتاج حاملاً واسعاً وكثيفاً ينتشر في الأنحاء. والحرب ليست حرباً بالقذائف فقط. بل بالمحافل والميادين العالمية التي تتأثر بالرأي العام الذي يخاطبه جيش وحيد هو... الإعلام.

سُورِيَة

تصدر عن بناء المستقبل
برعاية
م.وليد الزعبي

ترحب المجلة بالمقالات والآراء
والدراسات والنصوص الأدبية
التي تتناول الشأن السوري
وترصد حاضر الثورة السورية
ومستقبلها

ترسل المواد إلى العناوين
الإلكترونية للمجلة :

@bof_sy

bof-sy.com

fb.com\bof.sy

info@bof-sy.com

التصميم و الإخراج :

القسم الفني
في مجلة رؤية سورية

جميع الحقوق محفوظة ويسمح
بالنسخ والنقل وإعادة النشر مع
الإشارة إلى المصدر

الآراء والمقالات المنشورة لاتعبر
بالضرورة عن رأي المجلة

46 أطفال الليل
سلام أبوشالة



من مراكش..الاسلام
د. محمد حبش

50 صراع الرموز
دلال عبدالله



على وقع انهيار جنيف
إبراهيم الجبير

54 مسرحية مدينة
بسام سفر



آفاق التدخل الروسي
حذام زهور عدي

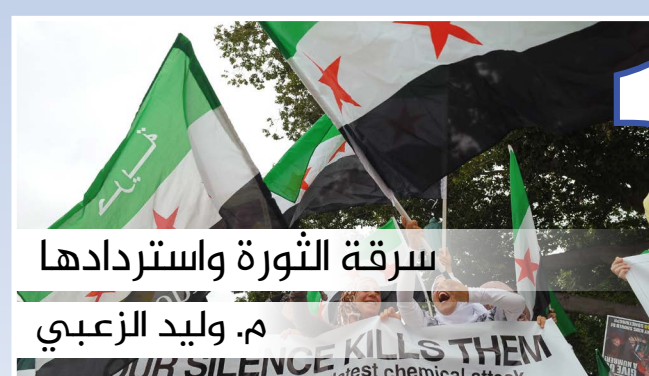
58 رذاذ المطر
فاضل السباعي



نظريات النمر وجذورها
أحمد طلب الناصر



مآلات الدولة والمجتمع
د. عبدالله تركماني



سرقة الثورة واستردادها
م. وليد الزعبي

حتى لا تكون "جنيف 3" رخصة للقتل



د. خطار أبو دياب

الأمريكي (البعض يريد وصفه بالتسليم والتواطؤ) والرضى الإسرائيلي ، يعتبر أداء المعارضة معقولا في اعتمادها على تراكم تجاربها وعلى دعم من النواة الصلبة لحلفائها العرب والإقليميين والأوروبيين. ولذا كان عدم المشاركة في جنيف ٣ له تبعات وخسائره أكثر من خسائر المشاركة الحذرة والنبهة لأن هدف روسيا وإيران والنظام اللعب على تناقضات المعارضة وحلفائها أو تيسير استبدالها بمعارضة طيبة

المعركة طويلة لأن النزاع السوري هو كناية عن عدة حروب في حرب ولأن هذا النزاع مفصلي في عباب بحر الشرق الأوسط الهائج . في السنة الأخيرة من عهد أوباما يتصور القيصر الجديد بوتين انه سيقضي على الثورة السورية ولذا سيكون الصراع حادا سياسيا وإنسانيا وعسكريا في آن معا . وما يزيد من الصعوبة إننا امام مرحلة انتقالية عالميا هي مرحلة التخبط الاستراتيجي التي تشهد إعادة تركيب القوى والتحالفات خاصة أن النظام الدولي ما هو إلا المنظومة التي تعكس حجم التفاعلات التي تقوم بين الدول والمنظمات الدولية ومجمل اللاعبين من منظمات غير حكومية وشركات وكيانات وغيرها . ومن ناحية أخرى فأن الأولوية المعطاة للحرب ضد داعش الفزاعة ووجود نزاعات في العراق واليمن وليبيا والتوتر حول ضفتي الخليج وحرب أسعار النفط تشتت الاهتمامات ، وأضف الى ذلك استمرار تفاعلات النزاع الاوكراني مما يرشح الساحة السورية لتكون كذلك ساحة حروب الآخرين او علبة بريد لرسائلهم .

إزاء هكذا مشهد استراتيجي مليء بالتعقيدات والتحديات ، تكمن المهمة الملحة اليوم ألا يكون مسار جنيف ٣ رخصة للقتل او مسرحية لتكريس الانقلاب الروسي وتعويم النظام. الأهم احباط الخطط المضادة وتنظيم الصمود والإصرار على بدء الانتقال السياسي ومن دون ذلك يكون الدوران في المجهول.

**المعركة طويلة
لأن النزاع السوري
هو كناية عن عدة
حروب في حرب
ولأن هذا النزاع
مفصلي في عباب
بحر الشرق الأوسط
الهائج**

إيصال الحليب للأطفال او إنقاذ مرضى غسيل الكلى الى ما هناك من مآسي يصعب تعدادها وتوصيفها. هل تدفع هذه الصورة القائمة لرفض كل محاولة للخلاص وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، الجواب بالطبع لا بالرغم من فداحة التضحيات والاثمان لأن إنقاذ العباد والبلاد مهمة تستحق العناء والمحاولة ووضع النظام ومن يحميه على محك الاختبار ، ومطالبة الجميع بتحمل مسؤولياتهم . من الناحية العملية يعتبر تركيز المعارضة في جنيف ٣ على وقف القصف وفك الحصار والبدء بإطلاق المعتقلين، أقل ما يمكن تقديمه من إجراءات بناء ثقة نص عليها القرار الدولي رقم ٢٢٥٤ . إنه تكتيك تفاوضي ناجح في وجه نظام البراميل المتفجرة ، نظام الاستتباع لإيران وتسليم البلاد خلصة لروسيا إلى حد ان الصحافة الروسية أخذت تطلق على سوريا لقب « روسيا الجديدة ». بالطبع في ظل ميزان القوى المختل بسبب الاختراق الروسي والانكفاء

المضادة وتنظيم الصمود والإصرار على بدء الانتقال السياسي ومن دون ذلك يكون الدوران في المجهول.

إن ما يجري على ارض الواقع لا يتصور حدوثه من له بعض العقل او قدر يسير من الحس الإنساني . يشمل الحصار ثمانية عشر منطقة وعشرات الألوف من الأشخاص . أيعقل ان يموت الناس جوعا في مضاي وتتحول الغوطة الخضراء الى سجن في الهواء الطلق ولا يصل الغذاء الى دير الزور أو تبادل وتدمر درعا وحمص وادلب وحلب وريف اللاذقية . إنه مسلسل قتل الإنسانية المستمر تصاعدا في الداخل او في مخيمات النزوح او غرقا في رحلة الهرب من الجحيم الى المجهول .

يتحدثون عن السلام في هكذا ظروف قاهرة ويتشدقون بالتمنيات ، يسرقون المساعدات ويمارسون الابتزاز بالتجويع والتعذيب والنفي والاعتقال ... الأمم المتحدة قادرة عبر فريقها في سوريا على مواكبة تحريك مقاتلين وفق اتفاقيات معقودة ، لكنها تبدو عاجزة عن

بينما تنطلق بتعثّر أعمال مسار جنيف ٣ ، تصاعدت العمليات العسكرية والغارات الروسية كأن الدبلوماسية الساخنة على وقع الطائرات المقاتلة والمدافع والبوارج تريد تكريس الامر الواقع وفرض نتائج العنف المنتاهي على جدول الأعمال. لا يبدو ان هدف ما يسمى المجتمع الدولي التخفيف من اثار التغريبة السورية أو وضع حد للكارثة الإنسانية الكبرى الأولى في القرن الحادي والعشرين ، بل يظهر ان روسيا تريد استخدام المسار لتشريع نفوذها وسطوتها وفرض حل يلائم مصالحها . ومن هنا تبدو المهمة شاقة امام من يمثل تطلعات الشعب السوري وضحايا آلة قتل النظام وحلفائه ، حتى لا يكون هذا المسار بمثابة رخصة للقتل او بالأحرى لاستمرار قتل الشعب السوري والتمادي في التطهير الطائفي والفرز السكاني القسري.



د. رياض نسان أغا



ماذا حدث في جنيف؟

مطالب المعارضة

على رغم ما تعرضت له هيئة التفاوض من محاولات إرغامها على تجاهل تنفيذ التزامات ما قبل التفاوض التي حددها قرار مجلس الأمن وترحيل الحديث عنها إلى مرحلة التفاوض، فإن الهيئة أصرت على ألا تبدأ المفاوضات قبل الوفاء بهذه المرحلة التي نصت عليها البنود ١٢ و ١٣ من القرار، وقد أرسلت إلى المبعوث الدولي رسالة تحمل هذا الإصرار فجاء جواب «ديمستورا»، مؤكداً حق المعارضة بمطالبها الإنسانية واعتبرها فوق التفاوض. ولكن تعنت النظام ورفضه للتنفيذ مع نضائ من بعض الدول الداعمة بإهمال الملف الإنساني، جعل هيئة التفاوض تستشعر عدم جدية المفاوضات، فالعاجزون عن إدخال مواد غذائية للمناطق المحاصرة وإنقاذ آلاف الأطفال والمسنين من الموت جوعاً سيكونون أكثر عجزاً حين يأتي الحديث عن هيئة حكم انتقالية!

انسحاب وشيك

كادت الهيئة العليا للمفاوضات أن تعلن انسحابها ما لم تنفذ دول مجلس الأمن قرارها، لكن جون كيري قدم تعهداً بأن يتم تنفيذ ذلك مع الذهاب إلى جنيف، وقال إن لم تنفذ المفاوضات إلى تنفيذ ذلك فستكون مجرد ألعيب، وكذلك وعد عدد من وزراء

خارجية الدول الصديقة، وشجعوا المعارضة على الذهاب، وقلنا حسناً نذهب، ليرى العالم كله جدتنا في الإقدام على الحل السياسي، ولنختبر الإرادة الدولية ونكشف زيف سلوك النظام وإصراره على الحل العسكري، ولعلنا نفيد من المنصة الإعلامية العالمية لاعادة طرح قضيتنا.

انتظرنا في جنيف ثلاثة أيام، بدأ خلالها التباحث مع «ديمستورا» حول آليات تنفيذ مرحلة ما قبل التفاوض، ولكن تصريحات وفد النظام جاءت ساخرة ومستهزئة بالعملية السياسية كلها، حيث أعلن رئيس الوفد أن لديهم في النظام «قرناً غير

قرآن المسلمين»! وأن سورة «الفاتحة» تقول «لا تفاوض»! وقد منح «آيته» إمعاناً في السخرية حين قال بعدها «صدق الله العظيم»!.. وقد كان هذا الاستخفاف بآيات القرآن الكريم والاعتداء على مشاعر المسلمين لتأكيد رفض التفاوض، كافياً لكي نفهم استحالة قبول النظام بشيء من قرار مجلس الأمن.. وبتنا نشعر بأن المجتمع الدولي يقف عاجزاً عن تنفيذ وعوده والوفاء بالتزاماته، على رغم ما نجده من

سفرائه ووزرائه من تعاطف وإقرار بمشروعية مطالبنا، وبكونها مطالب قرار مجلس الأمن ذاته.

ديمستورا أمام الحقيقة

كانت الجلسة الختامية مع «ديمستورا» مكاشفة صريحة وشفافة عبر فيها المبعوث الدولي عن عجزه أمام رفض النظام تنفيذ المطالب الإنسانية، وكان تصعيد الهجمات الروسية على المدن والقرى السورية بمثابة الرد على مطالب الشعب السوري، ففي حين نطلب إنهاء الحصار على مضاي والمعضمية وداريا والغوطة ودير الزور وسواها من المناطق يبدأ الروس والفرس بحصار حلب، ودرعا، وتتصاعد أعداد الموق من المدنيين

تحت الأنقاض، ويكفي أن نذكر أن روسيا نفذت ٢١٥ طلعة جوية لقصف حلب وريفها في يوم واحد.

أمام الإعلان عن العجز الدولي والرضوخ العالمي للغطرسة الروسية كان لابد من أن نعلن وقف المفاوضات، وقد طلب «ديمستورا» ألا نعلن انسحاباً كي لا تقتل العملية السياسية، وقال إنه سيرفع الأمر إلى الأمين العام للأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن وسيدعو المجموعة الدولية الداعمة لاجتماع يعرض فيه ما حدث.

لقد تعرضت سوريا لعدد ضخم من الغزوات الخارجية كان أخطرها في تاريخنا الغزو المغولي والغزو الصليبي، ولم تتمكن تلك القوى العظمى من قهر إرادة الشعب، وأتوقع أن تبدأ مرحلة جديدة هي الكفاح الشعبي المسلح للتخلص من الاحتلالين الإيراني والروسي، ومن طغيان حكومة الديكتاتورية والاستبداد.



كادت الهيئة العليا للمفاوضات أن تعلن انسحابها ما لم تنفذ دول مجلس الأمن قرارها، لكن جون كيري قدم تعهداً بأن يتم تنفيذ ذلك مع الذهاب إلى جنيف، وقال إن لم تنفذ المفاوضات إلى تنفيذ ذلك فستكون مجرد ألعيب، وكذلك وعد عدد من وزراء خارجية الدول الصديقة، وشجعوا المعارضة على الذهاب



د . عبدالله تركماني

مآلات الدولة والمجتمع في سورية

بفعل سياسات سلطة آل الأسد وممارساتها الدموية والتدميرية تحولت أغلبية السوريين إلى قتلى وجرحى وسجناء رأي وضمير ومهجّرين، سواء داخل سورية أو بلدان اللجوء، وجرى تدمير مدن وقرى في مختلف الأنحاء، كما جرى تدمير وتعطيل غالبية القطاعات والمؤسسات الاقتصادية والخدمية والمرافق العامة، وكلها أدت إلى خروج السوريين من دوائر الفعل الاقتصادي والاجتماعي، بحيث لم يبقَ من الدولة والمجتمع، في دائرة الفعل، سوى بقايا المؤسسة العسكرية - الأمنية وبعض المؤسسات المساعدة في تشغيلها ودعم أجهزتها.

فما هي مآلات الجمهورية السورية على صعيد الدولة والمجتمع، وعلى صعيد الجغرافيا والديموغرافيا ؟ وما هي الإجماعات الجديدة التي ستتشكل عند السوريين ؟

إذ أنّ كل يوم إضافي، في هذا الخراب، يعني مزيداً من الأسوار بين مكوّنات مجتمع السوريين، ومزيداً من الفجوات بينهم. فمفهوم الشعب، الذي بدا لنا بسيطاً وواضحاً إلى حد البدهاة، ليس في حقيقة الأمر كذلك، وبخاصة في مجتمع معقّد التكوين مثل المجتمع السوري. فمع انفجار الحراك الشعبي في آذار ٢٠١١ نشط النظام الاستبدادي أدوات دعايته لتوتير المناخ الاجتماعي، وتحفيز الهواجس والمخاوف الطائفية، وخطط، في إطار الدفاع عن سلطته، لدفع الأوضاع إلى مسارات حرب أهلية، لاعتبارات عديدة، أهمها: تحشيد المكوّنات الأقلوية حوله، وربط مصيرها بمصيره، وتخويف المجتمع السوري من الثورة، وتخويف المجتمع الدولي من نتائج انتصار الثورة، وأثر ذلك على السوريين من أبناء المكونات الأقلوية.

وقد أضاف ظهور الحركات الإسلامية المتطرفة بُعداً متفجراً على تمزّق مجتمع السوريين، حيث أثارت

البرامج والمشاريع السياسية لهذه الحركات، من « الولاء والبراء » إلى إقامة دولة الخلافة الإسلامية، وسياستها المحكومة بمعايير متشددة، بما في ذلك قتل المرتد ورجم الزاني وقطع يد السارق ... إلخ، أثارت هواجس ومخاوف الكثيرين.

ويضاف إلى ذلك سعي سلطة آل الأسد إلى الضغط على جميع سكان المناطق المناهضة لها في دمشق وريفها بشتى الوسائل، من التهريب إلى التجويع (مضاي وعضمية الشام مثلاً)، دافعة بهم إلى مغادرة مناطقهم، بهدف إخلاء المنطقة التي تصرّ على الاحتفاظ بها من ضمن ما يسمى « سورية المفيدة » من أية مجموعات معارضة لها، على غرار ما حاولت ولا تزال تفعله في تفريخ غلاف دمشق من سكانه السوريين، كما حصل في جنوب المدينة وريفها الغربي، وإحلال أهالي المرتزقة القادمين من العراق ولبنان وأفغانستان وباكستان مكانهم، ومنع سكانها السوريين والفلسطينيين من العودة إليها، مما يعكس أهدافها في تغيير خرائط ديمغرافية في عدد من المناطق السورية.

إنّ التحركات السكانية واسعة النطاق لم تكن مجرد نتيجة ثانوية أسفرت عنها الثورة، بل هي استراتيجية تطهير عرقي واعية تنفذها أطراف عديدة. فقد تقاطعت وتضاربت مصالح دول إقليمية وقوى دولية، وتعارضت والتقت، فأيران تسعى إلى الحفاظ على النظام، بهدف الحفاظ على مناطق نفوذها وامتداده إلى البحر المتوسط، عبر حزب الله، أداها في لبنان الذي تدعمه لوجستياً عن طريق الأراضي السورية، وأي سقوط للنظام هو سقوط للمصالح الإيرانية هناك.

ومن جهة أخرى، لم يُبتدَل مفهوم سيادة الدولة بقدر ابتذاله، أو استخدامه، في القضية السورية، في بلاد ابتُذِل فيها كل شيء، فالدولة قُضمت، وأضحت مجرد نظام أو

سلطة. إذ أنّ فكرة السيادة هنا تفتقر إلى الركنين اللازمين، من زاوية القانون الدولي: أولهما، التزام الحاكم بالدستور، أي بالعقد الاجتماعي. وثانيهما، وجود مواطنين بمعنى الكلمة يتمتعون بالحقوق والواجبات المتساوية. الأمر الذي يطرح التساؤل حول مضمون كلمة وطنية هنا، المقترنة بالسيادة، إلا إذا كان القصد منها الدلالة على الحاكم، الذي اختزل المواطنين والوطن بشخصه، بل استدعى التدخل الخارجي الإيراني والروسي لحمايته.

ويأتي ضمن المخاطر، ضربٌ من اللاعقلانية، أصاب ممثلي الثورة، أو لعله غلب على جزء غير يسير منهم، تجلّى في الرغبة والإرادوية والنزعات التبريرية، طبقاً لما كتبه ماجد كيالي. أدى ذلك إلى انتشار واسع لتحليلات تبسيطية سطحية، ورواج الكثير من المعطيات الكاذبة، التي تقود الناس إلى استنتاجات مزيفة لا تعد إلا بالأوهام.

ولكن ثمة عدة متغيرات حصلت في المشهد السوري وجعلته أكثر استعداداً للتسويات السياسية عما كان عليه عشية انعقاد مؤتمر « جنيف ٢ » في أوائل عام ٢٠١٤: أولها، الانخراط الروسي المباشر في الصراع السوري. وثانيها، تنامي الحاجة لدى حلفاء النظام لتمرير حل سياسي يخرجهم من حالة الاستنزاف المنهكة. فموسكو التي تتحمل المسؤولية الأكبر في إدارة الملف السوري، تبدو اليوم أقل قدرة على تحمّل مزيد من أعباء استمرار الصراع وأكثر ميلاً لمعالجته سياسياً. في حين تزداد معاناة طهران الاقتصادية مع تراجع عائداتها المالية، جراء الانخفاض المتواتر في أسعار النفط، ومع استنزافها المتعدد الوجوه في العراق وسورية واليمن. وثالثها، تزايد الضغط الإقليمي لإطفاء بؤرة التوتر السورية، بعد أن أضحى التخوُّف على أشده مما تخلفه هذه البؤرة من استقطابات

حادة واحتقانات مذهبية وطائفية، ومن أخطار اجتماعية واقتصادية على بلدان الجوار نتيجة الازدياد المتواتر لأعداد اللاجئين السوريين على أراضيها. ورابعها، موجة اللجوء السوري نحو أوروبا. وخامسها، تدهور الأوضاع الاقتصادية والخدمية وشيوع رغبة عارمة وضاغطة لدى السوريين بضرورة الخلاص من هذا التردّي المريع في شروط حياتهم وعيشهم وأمنهم، ربطاً بتنامي استعداد المعارضة للتوصل إلى حلول تخفف من دوامة العنف وتحفظ وحدة البلاد ومؤسسات الدولة.

ويبدو أنّ المسار العام لتطور الموقف الروسي من الأزمة السورية، والتقارب المتنامي بين واشنطن وموسكو، يؤشران

إلى متغيرات كبيرة مقبلة في الأزمة السورية، وتعزيز قوة الدفع الدولية للبدء بمحلة انتقالية جديدة. ولكن ثمة عقبات تعترض انطلاق الحل، بينها استمرار الخلافات على آليات التغيير والفترة الانتقالية ودور رأس النظام، وسبل الحفاظ على هياكل الدولة ومؤسساتها بما فيها الجيش والأجهزة الأمنية، وتوفير الحقوق والحماية لجميع المكوّنات. وقد لا تحصل الأمور وفق سياق خطة طريق فيينا، ولا تجري وفق الأزمنة والتواريخ التي حددها قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤، لكن بكل تأكيد أُوقف صعود الخط البياني لمسار الأزمة ولُوي مساره نزولاً.

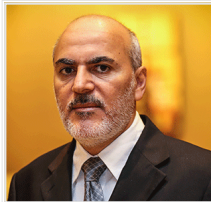
وبين كل الاحتمالات يبدو أنّ مآل الحل الواقعي والمنطقي، الذي يتفق مع مصلحة السوريين، السعي لإنهاء الوضع الكارثي السوري بحل سياسي تفاوضي يقيم حكماً انتقالياً بكامل الصلاحيات، بالتشارك بين من لم تتلخّ أيايديهم بدماء السوريين من أهل النظام وممثلي المعارضة السورية، يوقف إطلاق النار ويقود عملية انتقالية تمر بدستور جديد وانتخابات تشريعية ورئاسية وعودة المهجّرين وإعادة الإعمار ومواجهة المنظمات الإرهابية، وكل من لا يقبل بوقف القتال والاحتكام لعملية سياسية ديمقراطية. وبناء على ما تقدم، يبقى العامل الذاتي الوطني حجر الأساس في أيّ تعامل مع المبادرات والجهود التي تقارب المسألة السورية. فمن دون قيادة سياسية متماسكة للمعارضة تمتلك رؤية سياسية واضحة ومطمئنة لسائر المكوّنات السورية، على قاعدة احترام الحقوق والخصوصيات، وتكون بعيدة كل البعد من التعصب والتطرف، وتأخذ في اعتبارها المعادلات الإقليمية والدولية، وتؤكد للجميع أنّ سورية المستقبل ستكون عامل استقرار وانسجام لمصلحة الجميع، ستبقى الأمور عائمة، مفتوحة على

غير ما هو منشود. ويستدعي هذا، قبل أي شيء آخر، العودة إلى ذاتنا، واستعادة روح الثورة والمبادئ التي كانت تمثلها، في الحرية والكرامة وحق الشعب في تقرير مصيره، ورفض المساومة على القضية التي ضحّى من أجلها ملايين السوريين، بعضهم بأرواحه وبعضهم بمستقبله وكل ما يملك، فمن دون إحياء روح الثورة من جديد، وتعميم إشعاعها في قلوب أغلب السوريين، لن يبقى هناك أي معنى، وسيتحول الكفاح البطولي المرير للشعب السوري، منذ خمس سنوات، إلى اقتتال مجاني، عبثي.

لم يبتذل مفهوم سيادة الدولة بقدر ابتذاله، أو استخدامه، في القضية السورية، في بلاد ابتذل فيها كل شيء، فالدولة قُضمت، وأضحت مجرد نظام أو سلطة



سرقة الثورة. واستردادها



م. وليد الزعبي

هل يمكن أن تتم سرقة ما دفع الشعب كل هذا الثمن مقابلته؟ هل يمكن أن يقوم أحد ما بخطف منجزات الشهداء وتضحياتهم وعذابات المعتقلين وحرمان اليتامى؟. طبعاً... يمكن. ويمكن أن يحدث ما هو أسوأ أيضاً، إذا تركت الثورات ذاتها نهباً لكل من هبّ ودبّ أو لكل من ادعى أنه قادر على تمثيل الثورة وخدمتها والقيام بها ومن ثمّ التحدّث باسم الشعب، سواء أكان طرفاً سورياً أو عربياً أو أجنبياً.

يمكن أن يسرق الثورة انتهازيون، ويمكن أن يسرق الثورة طالبوا ولاية، مع أن القاعدة تقول (طالب الولاية لا يؤلّي) ولكنه يمكن أن يشوّش أو يتسلل إلى أوساط الثورة، ثم يحصل على ما يشاء، ومن ثم تعود النتائج التي ينتظرها الشعب بالنفع عليه وحده، ويمكن أن يسرق الثورة عملاء يستغلهم أسياداً من مختلف الأماكن والاتجاهات، وهي ما تعرف بالمصالح الدولية، ولعبة الأمم، التي نراها بوضوح في وجوه بعض من يأتمر بإمرة السفارة الفلانية أو وزير

الخارجية العلاني.

تستطيع التناقضات الدولية أن تخلق توافقاً يسرق الثورة السورية، من أهلها، ويقودنا إلى صيغ للعيش المشترك لم تكن في حساباتنا، فها هي الفيدرالية والمحاصصة العرقية والطائفية تمد رقابها أمامنا بين الأسبوع والآخر، وتظهر من تصريحات المسؤولين العرب والأجانب وبعض السوريين أنفسهم، ولكن ما يمكن أن يقف في وجه هذا كلّهُ هو التماسك الشعبي، ووعي الشباب السوري لحاجاته الحقيقية، ولقدراته الواقعية، وأيضاً لطاقاته الانهائية، هو من كسر حاجز الخوف، وهو من حطم أسطورة الصمت في سوريا، والقبضة الحقيقية، وهو القادر على تحطيم كل أسطورة أو وهم قادم، فلا خوف على الثورة ما دامت تقدر على تذكر أهدافها، وتدرك على أي طريق تسير.

الثورة تحطم رموزها

إن العمل الوطني من وجهة نظري مغامرة كبيرة، وفيها يمكن لأي مركبٍ أن تحترق أو تغرق، أو تعصف بها رياحٌ من

العمل على حماية الثورة يبدأ بالعمل على حماية الذات، فالشفافية المطلقة، ونبذ الكذب ومخادعة الشعب، تمنحنا ثقة الناس، وتجعلان منك واحداً منهم، ولست قائداً لقطيع تقول له ما تريد وتكتم عنه ما تريد

أي شيء لنجدة الملهوفين وإغاثة اللاجئين ووقف القصف والضغط على المجتمع الدولي للتدخل العسكري، مع أن هذا الأمر خارج إرادتهم وأكبر من طاقتهم، ولكن الشعب لا يرحم من يتنطّع للمهمة العامة، في الظروف الطبيعية فكيف بمنّاخ الثورة الغاضب باستمرار؟

حماية الثورة

العمل على حماية الثورة يبدأ بالعمل على حماية الذات، فالشفافية المطلقة، ونبذ الكذب ومخادعة الشعب، تمنحنا ثقة الناس، وتجعلان منك واحداً منهم، ولست قائداً لقطيع تقول له ما تريد وتكتم عنه ما تريد، إذ إن مصارحة الناس بالوضع الدولي والأوضاع العامة، أفضل من تركهم يواجهون القلق والأسئلة

ويتوقعون المزيد من الدعم وفي النهاية لا يحصلون على شيء، وحماية الثورة تبدأ بحماية الشعب ذاته، من العوز والحاجة، وانتظار المحسنين والداعمين، فليبادر كلّ إلى دوره، رجال الأعمال والسياسيون والمناضلون والنشطاء، وليقوموا بما يستطيعون للدفاع عن حاجات الشعب، كي لا تتراجع الثورة وتقهقر، وحماية الثورة لا تبتعد عن حماية أخلاق الثورة، فالغيرية والتضحية هما أهم صفات الثائرين، والأنانية والضعف البشري.



تستطيع التناقضات الدولية أن تخلق توافقاً يسرق الثورة السورية، من أهلها، ويقودنا إلى صيغ للعيش المشترك لم تكن في حساباتنا، فها هي الفيدرالية والمحاصصة العرقية والطائفية تمد رقابها أمامنا بين الأسبوع والآخر، وتظهر من تصريحات المسؤولين العرب والأجانب وبعض السوريين أنفسهم



من مراكش .. الإسلام وحقوق الأقليات



د . محمد حبش

العدد ٢٦
كانون الثاني - يناير ٢٠١٥





ينظر إليه على أنه رمز تواصل وتكامل بين الديانتين الأعظم وحين مات النجاشي قال النبي لأصحابه مات الليلة أخوكم أصحمة بن أبحر النجاشي قوموا بنا نصلي عليه، فقال عدد من الصحابة كيف نصلي على رجل ليس على ملتنا ولم يدخل في ديننا، فأنزل الله قرآناً يتلى: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب.

ومع ذلك استمر عدد من الصحابة بالاعتراض وقالوا كيف؟ وقد عاش الرجل نصرانياً يصلي إلى بيت المقدس ولم يصل ركعة واحدة صوب مكة، فأنزل الله أروع آيات القرآن الكريم، وأكثرها انفتاحاً وتسامحاً وسعة أفق، في نص رائع يرسم أوسع انفتاح ديني: ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم.

وفي السياق نفسه فإن النبي الكريم وجه الأمة باتجاه بناء ثقافة مساواة واحترام بين أبناء الأمة الواحدة على الرغم من اختلاف الدين والمذهب، واعتبر الإسلام الإيمان بالأنبياء والكتب السماوية ركنين اثنين من أركان الإيمان لا تصح عقيدة بدونهما، وأمضى نصف عمر الرسالة يشارك النصارى قبلتهم، وأمضى كل عمر

الرسالة يصلي على أنبيائهم، ويوصي باتباع ملة إبراهيم، لم يكن يرى أن رسالته تتمثل في هدم ما أنجزه الأول، بل كان يواصل ما صنعوه ويؤسس على ما أنجزوه، ويؤمن بالمشترك الإنساني، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أولى بها، ونصوص القرآن طافحة بهذه الحقيقة، ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك، كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك

يوم الخندق، وتعاونوا مع مشركي قريش على اجتياح المدينة ولكن الله سلم، إنه عليم بذات الصدور، وتمت معاقبة المقاتلة منهم في يوم شهر.

وقد مهد النبي الكريم لهذا الواقع السياسي من التعايش في نصوص كثيرة، وقد تجاوز الأمر في حقوق التعايش مسألة العيش المشترك إلى قضايا أكثر عمقاً وأهمية، حيث تحدث النبي الكريم عن المشترك بينه وبين رسالات الأنبياء، وأقام نفسه بمثابة لبنة في تاريخ النبوات، وقال: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وأجملها إلا موضع لبنة فكان الناس إذا مروا بتلك الدار يقولون ما أجمل هذه الدار لولا موضع اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين.

ومن الواضح أن هذه النصوص تهدم الحاجز النفسي الذي تبنيه الأقليات للحفاظ على هويتها وها هنا فإن الرسول الكريم يجعل مشروع الأنبياء رسالة واحدة يتم بعضها بعضاً فلم يقل أنا كل الأنبياء ولم يقل أنا كل النبوات وإنما قال أنا لبنة في تاريخ النبوات ولبنة في تاريخ الأنبياء. ومن جانب آخر فقد سبق الود لهذه الأقليات عندما اختار رسول الله أن يترك قبلة قومه إلى الكعبة ويتوجه صوب بيت المقدس ولا شك أن ذلك قد أعطى دفعاً روحياً كبيراً لأبناء الديانات السماوية حول تكامل رسالة الإسلام مع رسالات النبوات السابقة.

وربما كانت مواقف النبي الكريم من النجاشي أكثر المحطات إلهاماً في وعي الإسلام بالاختلاف الإيجابي بين الناس، فقد كان النجاشي نصرانياً ومع ذلك فإن النبي الكريم تحدث مراراً عن مكانته ومنزلته في قلوب المؤمنين، وكانت وفود النجاشي تتوالى إلى مكة أولاً ثم المدينة ومع أن النجاشي تمسك بعقيدته ولم يتحول إلى الإسلام بالمعنى الدقيق للكلمة ولكنه ظل يحظى بأكبر احترام من قبل المسلمين، وظل

عشر عاماً واجه فيها رسول الله الحصار والتجويع والاضطهاد وقتل عدد من أصحابه تحت التعذيب ولكنه لم يشأ أبداً أن يختار العنف جواباً للعنف واستمر في البحث والإعداد حتى سعدت يثرب تلك القرية الوادعة بهجرة الرسول إليها ودخلها في مهرجان روحي وفني غامر تنشده فتيات المدينة طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، وكان ذلك إيذاناً ببدء مرحلة بناء الدولة على أساس من الإيمان. كان عليه صلى الله عليه وسلم أن يواجه واقعاً جديداً في المدينة فالبلد ليست مسلمة بالكامل، والذين اختاروا الإسلام فيها لم يكونوا يشكلون كل الناس وظلت أقليات موجودة في المدينة من اليهود والنصارى والوثنيين، وهو ما يمكن فهمه تفصيلاً من خلال دراسة وثيقة المدينة التي كانت بمثابة إعلان أول دولة مدنية حقيقية في الإسلام.

إن أول ما يدهشك في صحيفة المدينة أنها تمكنت من توفير طمأنينة الجميع في المدينة، ولم يسجل نزوح أي رجل من أهل المدينة فقد وجد الجميع ظروفًا تمكنهم من العيش بسلام وممارسة حياة ناجحة، وربما كان هذا وحده يكفي لفهم طبيعة الرحمة التي جاء بها رسول الله للعالم، في حين أننا تابعنا في السنوات الأخيرة وصول التنظيمات الإسلامية المسلحة إلى عدد من المدن في العراق والشام تحديداً، وكان أول ما يتابعه العالم من أمر هذه الغزوات أو الفتوح هو هروب الآلاف من الناس وبشكل خاص من الأقليات إلى المجهول والعذاب والقهر فقد أصبح واضحاً أن كل ما يحلمون به من أمن ومساواة وحرية بات مهدداً تماماً.

إن وثيقة المدينة كانت حدثاً غير عادي فقد نصت بوضوح على حقوق الجميع وكانت بمثابة عقد اجتماعي جديد يمنع احتكار الحياة واحتكار السلطة، وكان يهود بني عوف وهي قبائل قينقاع والنضير وقریظة قد اعلنوا تمسكهم بدينهم ورفضوا الدخول في الدين الجديد، ومع ذلك فقد نصت وثيقة المدينة بوضوح: إن المسلمين ويهود بني عوف أمة واحدة من دون الناس.

لم يجد أي يهودي أو مسيحي سبباً يدعو للخروج من المدينة في ظل الواقع الجديد ولولا الغدر الذي وقع فيه أفراد أساسيون من قينقاع والنضير لاستمر هؤلاء في المدينة وفي واقع اقتصادي قوي، ولكن من المؤسف أن قبائل اليهود في المدينة المنورة لم تلتزم بالعقد الذي أبرمه معها رسول الله، ونقضت العهد ثلاث مرات متتالية، وانتهى ذلك كله بيوم مريير لبني قريظة بعد أن قام أشرارهم بخيانة فاجعة

عقد في مراكش ٢٤ كانون الثاني المؤتمر الدولي لحماية الاقليات في الإسلام، ومن الواضح أن المؤتمر ينعقد في ظلال سوداء من القهر والمعاناة التي واجهها السوريون، الذين يواجهون نكبة لا تشبه نكبات الدنيا، حيث لا يوجد طمأنينة للأقليات ولا للأكثريات، وتعاني الأثرية والأقلية جميعاً من بطش نظام طائش دفع الناس إلى مواجهات تعيسة يصطف فيها السوري ضد أخيه السوري، وتضيع فيها بوصلة كل اتجاه.

كانت ورقتي إلى المؤتمر تتركز في تأكيد الحقيقة التاريخية أن سوريا عاشت قبل الاستبداد تاريخاً متحف أديان لقرون طويلة ولم تتعرض أي من هذه الطوائف للقهر والإبادة مسلمون ومسيحيون وسنة وشيعة واسماعيلية ودروز ويهود وصابئة ويزيديون وغير ذلك، وعلى الرغم أنه مرت على بلاد الشام قرون كثيرة وهي مركز الخلافة نفسها أو الدول الإسلامية الرئيسية من حمدانيين وإخشيد وفاطميين وزنكيين وأيوبيين ومماليك وعثمانيين، وكان الجميع يجد أمنه وأمانه في سوريا، حتى جاء الاستبداد بممارساته اللعينة فأحال وحدتهم إلى شتات وحضارتهم إلى خراب، وأعاد الوحدة الوطنية إلى أشد عصور الطائفية السوداء قتامة وظلاماً.

لقد قاربت في ورقتي بعض الحقائق التي قدمها الإسلام في حماية الأقليات، وهي حقائق تم اختبارها تاريخياً وحقت أروع النتائج، ولا تزال مصدراً صالحاً لثقافة العطاء والوحدة المجتمعية والوطنية.

صحيفة المدينة النص المؤسس لرعاية الاقليات

كانت الهجرة أول فتح حقيقي بدون دماء، وهي المحاولة السلمية الخامسة التي خاضها النبي الكريم لبناء الدولة، فبعد مكة ثم الطائف ثم الحبشة ثم الحيرة نجح أخيراً في توفير أرض خصبة لانطلاق الرسالة وبناء الدولة في المدينة المنورة.

لم يسجل بالطبع في هذه المحاولات الخمسة أي عمل عنيف، وكانت إرادة السلم هي التي تحرك سائر جهده على الرغم من أن الفترة التي امتدت ثلاثة



الله العزيز الحكيم، وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا، إلى عشرات النصوص القرآنية التي تدعو الأمة إلى الاعتبار بما أنجزه الأوائل واقتفاء نجاحاتهم فيما وفقوا إليه وتجنب عثراتهم فيما سقطوا فيه. ربما كان أجمل اختصار لهذه الحقيقة ما أخرجه البخاري في الصحيح عن الرسول الكريم: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وأجملها إلا موضع لبنة، فكان الناس إذا مروا بهذه الدار يقولون ما أحسن هذه الدار، لولا موضع اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين.

وقد نص القرآن الكريم على مساواة العباد في رحمة الله ورزقه وعطاياه، في أول آية في كتاب الله: الحمد لله رب العالمين، وجاءت آخر آية في القرآن هي أن الله رب الناس ملك الناس إله الناس، فلم يقل رب المسلمين ولا العرب ولا المؤمنين بل جعل سائر الخلق دون استثناء

عيالاً له، تماماً كما قال الرسول الكريم: الخلق كلهم عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله.

إن الله واحد ولكن أسمائه كثيرة والحقيقة واحدة ولكن الطرق إليها كثيرة والإشراق واحد ولكن الأديان متعددة، والحب واحد ولكن القلوب كثيرة.

وفي القرآن الكريم تكرر مرتين قول الله تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

بل إن القرآن الكريم اشتمل على أربع عشرة مرة تكرر فيها قول الله تعالى:

مصدقاً لما بين يديه، فهو لم يقل:

مبطلاً لما بين يديه أو ناسخاً لما بين يديه أو ناسفاً

لما بين يديه، أو ملغياً لما بين يديه، بل قال مصدقاً لما بين يديه ومهيماً عليه، وهذا المعنى يشمل التوراة والزبور والإنجيل من الكتب السابقة ويشمل الحكمة والعلم مما يتطابق مع المقاصد العظيمة للدين الحق. ولا شك أن هذه الروح النبوية في احترام الناس، وربط الإيمان بالأنبياء والدعوة إلى معرفة ما بين الأنبياء من إحاء وتواصل كانت جزءاً من المنهج التربوي الذي قدمته السنة النبوية لبناء مجتمع مطمئن يستقر فيه الناس ويختارون إيمانهم في ظروف من الحرية والرضا واليقين.

الرسول الكريم يخوض حرباً لحماية الأقليات وإنصافهم

بل إن السنة النبوية قدمت لنا سلسلة مواقف ووصايا في رعاية الأقليات حتى من غير أهل الكتاب، وقدمت

السنة النبوية سلسلة وصايا تعتبر مدخلاً لبناء الدولة الحديثة، فقد هدم الإسلام الجاهلية القديمة التي كانت تفرض أن الناس على دين ملوكهم، وأن تحول الملك من دين إلى دين ملزم للبيعة، بل جدد التأكيد على حق الناس في اختيار ما يعتقدون، وفق إعلان قرآني كريم ورد مباشرة بعد آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: لا إكراه في الدين.

وربما كان من أوضح الأمثلة على ذلك فتح مكة، حيث لا يختلف اثنان أن سبب الفتح الأعظم كان الانتصار لخزاعة بعد أن هاجمها سفهاء قريش وقتلوا عدداً من أفرادها في ظلال الحرم، واعتبر ذلك نقضاً صريحاً لصالح الحديبية الذي وقعته قريش م النبي الكريم قبل عامين.

وكانت خزاعة تنصح لرسول الله مؤمنها وكافرها،

لقد كانت خليطاً من الوثنيين والمسلمين، تجمع مصالحهم الموالة للنبي الكريم، ودخلوا في حلفه بعد يوم الحديبية كما دخلت بنو بكر في حلف قريش.

وبتعبير الدولة الحديثة فإن خزاعة وهي قبيلة عربية كبيرة انضمت إلى دولة النبي الكريم، ونالت حقوق المواطنة، ولم يكن من شرط المواطنة أن يدخل هؤلاء في الإسلام، وهي مسألة دقيقة، يخلط فيها الناس، فالشهادتان والصلاة والصوم والزكاة والحج هي شروط دخول الجنة وليست شرط دخول الوطن، فالوطن ينبغي أن يتسع للجميع أما الجنة فلها شروطها التي يحاسب فيها الله تعالى وحده وعلى الناس الالتزام بهديه ونوره ودعوته.

وفي السيرة النبوية أن عمرو بن سالم وفد مستغيثاً إلى النبي الكريم وأنشد قصيدته الشهيرة:

لاهم إني ناشد محمداً، حلف أبينا وأبيه الأتلا

إن قريشاً أخلفوك الموعدا، ونقضوا ميثاقتك المؤكدا

هم بئيتونا بالهجير هجداً، وقتلونا ركعاً وسجداً

فانصر رعاك الله نصرأ أرشدا، وأمر عباد الله يأتوا مدداً

لم يسأله النبي الكريم آنذاك عن صلاته وصيامه ولا عن نسكه وحجه، فهذه الأمور حق الله، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، ولكنه فقط أكد له حقه كمواطن أن يحظى بحماية الدولة بغض النظر عن موقفه الاعتقادي أيّاً كان.

نعم لقد كان الاعتداء الذي قامت به قريش وبنو بكر على خزاعة اعتداء على مواطن غير مسلم، ولكن مسؤولية الدولة الإسلامية حيال مواطنيها لا تقرر مذهبهم الاعتقادي بل تقرر حقوقهم الوطنية، على وفق القاعدة التي أكدها النبي الكريم، الناس سواسية كأسنان المشط، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

ويمكن القول إن السبب المباشر لفتح مكة هو الانتصار لمواطني غير مسلمين تعرضوا للاضطهاد والظلم، وكان من واجب الدولة المسلمة حمايتهم والانتصار لهم.

وبعد.....

فإن كل ما كتبناه في موقف الفقه الإسلامي من منح الأقليات

حقوقهم على أساس المواطنة وعلى أساس المساواة لا يفتح الفريق المتشدد الذي يرى أن الأمر على ما مات عليه الرسول وأن آخر ما نزل في شأن الأقليات هو قوله تعالى: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

ومع أننا بينا في هذا المقال موقف الفقهاء الكرام من فقه الجزية والتمييز الواضح تماماً بين جزية الصغار التي هي نهاية الحرب بين غالب ومغلوب، وبين جزية العقد الصلحي كما قررها ابن رشد، وهي لون من العلاقات الدولية المتطورة يمكن أن تختار فيها الدولة ما يناسب حالها وواقعها.

وفي سياق هذه الفهوم المتناقضة فإنني أدعو إلى فهم أعمق لكتاب الله وفق ما فهمته الأمة خلال التاريخ، فهذا القرآن مبين وقد فصلت آياته، وقد فهمه المسلمون خلال التاريخ على أنها نصوص تعايش وتسامح وتراحم، وبناء على ذلك عاشت الكنائس والمساجد متجاورة خلال التاريخ



الإسلامي ولم تقم دولة مسلمة بهدم الكنائس أو إحراق ما فيها من كتب العقيدة المختلفة المناقضة للإسلام، ونحن هنا بين خيارين لا ثالث لهما، إما أن يكون القرآن مبيناً فهذا هو فهم الأمة، وإما أن يكون غير مبين فتكون الأمة قد فهمته خطأ على عكس المقصود، وفهمه على وجهه الصحيح الخوارج في الماضي والمتشددون الآن في آخر الزمان. لا أشك أن مؤمناً بالله ورسوله يرضى أن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً.

وأختم بهذا النص القرآني المبين الذي جعل الأمة الإسلامية مسؤولة بالتضامن والتكافل عن حماية معابد الأديان على اختلافها، تأسيساً على الحرية الدينية وحقوق الناس في المجتمع الإسلامي، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.



على وقع انهيار مباحثات جنيف3 لابد من قراءة "سايكس - بيكو - سازانوف" القديمة المتجددة



إبراهيم الجبير

انهارت مباحثات جنيف ٣. بسبب الروس الذين سعدوا قصفهم ضد الشعب السوري. وفتحوا الطريق للميليشيات الإيرانية ومعها فلول جيش الأسد المنهك لاحتلال المزيد من الأراضي السورية، وتهجير المواطنين بعشرات الآلاف. ويحسن في هذا الوقت استرجاع تفاصيل ويوميات الاتفاقية التي لم يغيب عنها الروس والتي رسمت شكل المنطقة قبل مئة عام بالضبط.



اللحظة التاريخية التي تعبرها المنطقة وشعوبها، ليست بعيدة كثيراً عن مناخ العام ١٩١٦ حين تم توقيع اتفاقية سايكس بيكو الشهيرة، غير أن الوعي التاريخي أصعب دروس التاريخ ذاته، فما يمر من أحداث كبرى قد يتكرر بسهولة، إن لم يكن رصد الحدث وقراءته وتحليله بالقدر الكافي واللازم لإدراك المختلف في تأثيره والتعاطي معه، ولئن كانت الدوائر الدولية الكبرى صاحبة القوة والمصالح قادرة على استخدام مقصاتها أينما شاءت وحيثما شاءت، فإنه يمكن للشعوب والساسة أن يمروا من بين تلك المقصات، مخلصين أوطانهم من كوارث لن تقتصر على الحدود والجغرافيا بل ستصب حتماً في صميم الإنسان وتكوينه ومستقبله.

«اتفاقية القاهرة السريّة» كان هذا اسم الاتفاقية التي وقّعها كل من ممثلي بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية في السادس عشر من أيار - مايو من العام ١٩١٦، والتي بقيت طي الكتمان ريثما تنضج الظروف المحيطة بها، وتهدأ المنطقة التي كانت تشهد "فوضى خلاقة" مشابهة لما يحدث اليوم في العام منذ العام ٢٠١١ وحتى اليوم في العام ٢٠١٤، وكانت الاتفاقية مبنية على وثائق مطالبات تم تبادلها فيما بين الدول الثلاث. وكانت فرنسا قد كلّفت بتوقيع الاتفاقية جورج بيكو القنصل السابق في بيروت والمندوب السامي لمتابعة شؤون الشرق الأدنى، بينما مثل بريطانيا السير مارك سايكس الرحالة والمستشرق والمندوب السامي البريطاني لشؤون الشرق الأدنى، وكان دور المندوب الروسي سazanوف الإشراف على المفاوضات بين البلدين، تلك المفاوضات دارت في القاهرة وانتقلت بعدها إلى ساحة أخرى أبعد عن الشرق لم تكن سوى مدينة سان بطرسبورغ الروسية.

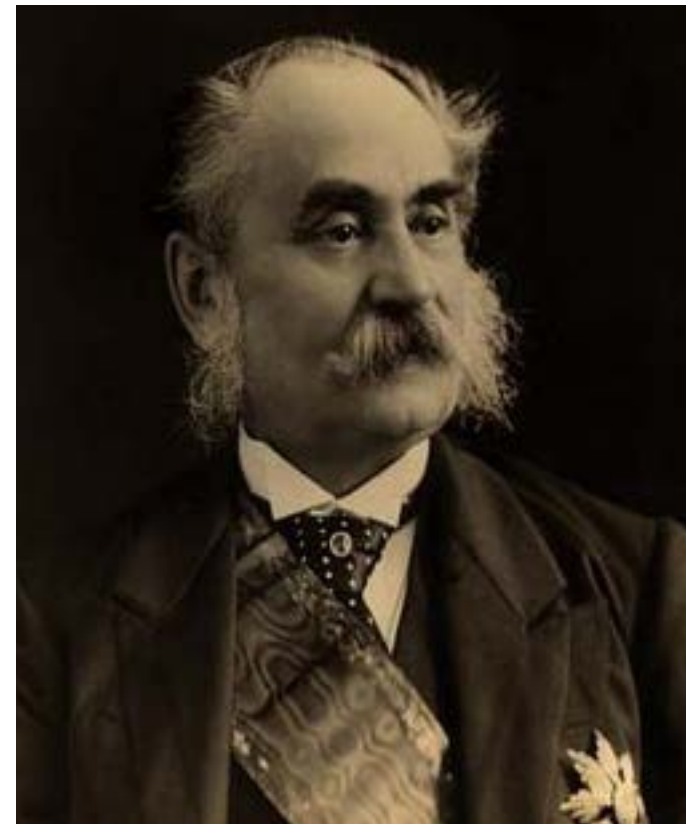
مناخ الاتفاقية

قدّمت الاتفاقية تصوّراً متكاملًا للمنطقة التي عرفت بالهلال الخصيب وأطراف الخليج العربي وسوريا الكبرى، ومنحت فرنسا مناطق نفوذ وسيطرة مباشرة في الجناح الغربي من الخارطة، الذي مثلته سوريا الحالية ولبنان وصولاً إلى الموصل، بينما حصلت بريطانيا على الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام لتمتد منطقة نفوذها شرقاً إلى بغداد والبصرة وكل المناطق التي تقع ما بين الخليج العربي وجنوب منطقة السيطرة الفرنسية، على أن تبقى المنطقة المسماة فلسطين تحت إدارة دولية تتفاهم حولها الدول الثلاث بريطانيا وفرنسا وروسيا، مع منح بريطانيا حق السيطرة على موانئ فلسطين مثل حيفا وعكا ويمكن لفرنسا أن تستخدم ميناء حيفا دون إذن، مقابل أن تستخدم بريطانيا ميناء الإسكندرونة الذي سيكون تحت سيطرة فرنسا.

تم تقسيم الهلال الخصيب بموجب الاتفاق، فحصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الجناح الغربي من الهلال (سوريا ولبنان) ومنطقة الموصل في العراق، أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعا بالاتجاه شرقا لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق

الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية في سوريا. كما تقرر أن تقع فلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. ولكن الاتفاق نص على منح بريطانيا مينائي حيفا وعكا على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل استخدام ميناء الإسكندرونة الذي كان سيقع في حوزتها.

كان سazanوف وزير خارجية روسيا القيصرية هو المشرف الضامن لتطبيق ما تم التوقيع عليه ما بين المسيو بيكو والسير سايكس في القاهرة أولاً ثم في مدينة سان بطرسبورغ الروسية ولكن انهيار النظام القيصري وصعود الشيوعية في موسكو فضح الاتفاقية السرية



وأزاح الروس من اللعبة

يهود وعرب

غادر الوفدان البريطاني والفرنسي سان بطرسبورغ وطويت التفاهات السرية، وتابع الشريف حسين ثورته، وتابعت الجيوش الفرنسية والبريطانية حربها من عدة محاور ضد العثمانيين، وفي أكتوبر - تشرين الأول من العام ١٩١٧، سقطت موسكو بيد الثوار الشيوعيين بقيادة لينين والذين عثروا على وثائق سazanوف وسايكس وبيكو، وقاموا بتسريبها كاملة، وبعد أقل من شهر على افتراف الاتفاقية السرية سارعت الخارجية البريطانية إلى تغيير استراتيجيتها تجاه عنصرين كانا على صلة وثيقة بها وبتطور عملياتها العسكرية في الشرق الأوسط، العنصر الأول كان اليهود والحركة الصهيونية التي تلقت وعداً

صريحاً مكتوباً وملزماً بالتزام بريطانيا بمنح فلسطين لليهود، وهو ما عرف بـ "وعد بلفور" الذي جاء على شكل رسالة وقّعها وزير الخارجية البريطاني السير آرثر بلفور بتاريخ الثاني عشر من نوفمبر - تشرين الثاني من العام ١٩١٧ إلى اللورد روتشيلد وأعلن فيها تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

أما العنصر الثاني فكان حركة التحرر العربية، التي أرادت إنشاء دولة قومية للعرب على أنقاض ما سمّته بالاحتلال العثماني للبلاد العربية، وكان ردّ الفعل البريطاني على اقتراح اتفاقية سايكس بيكو سazanوف تجاه العرب، عزل مكماهون المكلف بالتنسيق مع الشريف حسين والمضي في تطبيق الاتفاقية السرية دون الالتفات إلى الالتزام الذي ورد في مراسلات حسين مكماهون.

محور بغداد

دمشق

قبل سقوط موسكو بيد الشيوعيين وافتتاح أمر الاتفاقية، كان الجنرال فريدريك ماود قد أعاد بناء الجيش البريطاني واستخدم تعزيزات من الهند وأستراليا والمستعمرات البريطانية، وانطلقت العمليات من البصرة إلى بغداد،

لتسقط المدينة العراقية الكبرى بيد اللواء الهندي الثالث في ١١ مارس - آذار ١٩١٧، ولم يبق سوى الغرب كي يتم إكمال رسم خرائط سايكس بيكو سazanوف، وباكتمال

اتفاقية القاهرة السرية" كان هذا اسم الاتفاقية التي وقّعها كل من ممثلي بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية في السادس عشر من أيار . مايو من العام 1916، والتي بقيت طي الكتمان ريثما تنضج الظروف المحيطة بها، وتهدأ المنطقة التي كانت تشهد "فوضى خلاقة" مشابهة لما يحدث اليوم في العام منذ العام 2011 وحتى اليوم في العام 2014، وكانت الاتفاقية مبنية على وثائق مطالبات تم تبادلها فيما بين الدول الثلاث

الشروط الموضوعية لتطبيق الاتفاقية بدأت الجيوش البريطانية والفرنسية والمشاركة بتطبيق بنودها حرفياً بالتدخل المباشر، دون انتظار أن ينجح العرب في ثورتهم، وفي ٩ ديسمبر - كانون الأول من العام ١٩١٧ دخلت القوات البريطانية بقيادة اليمبي مدينة القدس بعد انتصارها على الجيش العثماني، و قال اليمبي وقتها: "اليوم انتهت الحروب الصليبية، وكان الهدف الأكبر المعلن هو دحر القوات التركية شمالاً و"فتح" دمشق كما جاء أيضاً على لسان الجنرال اليمبي الذي تابع بعد الاستيلاء على القدس طريقه إلى دمشق ليعلن انتهاء الحكم العثماني التركي على أكبر الأجزاء مساحة من خارطة سايكس بيكو في أكتوبر - تشرين الأول من العام ١٩١٨.

مشروع عربي ومشروع صهيوني

بعد يومين من "فتح" دمشق، تم تعيين الأمير فيصل بن الحسين حاكماً على سوريا، وفقاً لاتفاقية سايكس بيكو، ولكن الجنرال البريطاني أبلغه بأن الاتفاقية تنص على أن يكون لكل منطقة يفتحها جيش إحدى الدولتين حاكمٌ تعينه القيادة العسكرية للأخيرة ومستشارون تعينهم الدولة الأخرى الموقعة على الاتفاقية، وبدأ فيصل يدرك أن الوعد الذي تلقاه هو ووالده عبر لورنس ومجموعة الارتباط البريطانية لن يكون تحقيقه سهلاً.

وأدركت الحركة الصهيونية مبكراً نذر المصير الذي سوف يحيق بالوعد البريطاني للعرب، واتخذت التدابير اللازمة للحيلولة دون ضياع الوعد بدولة تخص يهود العالم، وكان قد عقد في ١٤ من آب من العام ١٩١٧ المؤتمر الصهيوني الثامن في لاهي بحضور أربعة مندوبين يمثلون اليهود في فلسطين، واتخذ المؤتمر قراراً يهدف إلى تسريع النشاط

الاستيطاني، ولم يمض شهرٌ واحد حتى جاء تاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩١٨ حين شكل دافيد بن غوريون ويتسحاق بن تسفي كتيبة ضمت ٥٠٠٠ رجل في الولايات المتحدة، ووصل قسم من المتطوعين إلى فلسطين وشاركوا في الحرب على الجنرال اليمبي، لمنع أي تغييرات قد تطرأ على الاتفاق الموقع من قبل وزير خارجية بريطانيا بلفور، وفي ١٨ ديسمبر - كانون الأول من العام ١٩١٨ عقد مؤتمر يافا للمستوطنين اليهود، وحمل حاييم وايزمان مطالب المستوطنين إلى مؤتمر باريس للسلام.

قال ممثل العرب الأمير فيصل في مؤتمر الصلح في باريس: «جئت ممثلاً والدي الذي قاد الثورة العربية ضد الأتراك تلبية لرغبة بريطانيا وفرنسا، لأطالب بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية في آسيا من خط الإسكندرونة - ديار بكر حتى المحيط الهندي جنوباً، معترفاً باستقلالها وبسيادتها من عصبة الأمم»

رأي سايكس بالاتفاقية في تلك الأيام، قال السير سايكس نفسه إنه: "ينبغي إعادة صقل الاتفاقيات السرية المتعلقة بتقسيم مناطق النفوذ، وتعديلها على ضوء الظروف الحاضرة، ولا سيما للإبقاء على سمعة الرئيس ويلسون، ولذلك أرى أن تقحم الولايات المتحدة في نظام الوصاية، وهذا من شأنه أن يحبط أي محاولة يقوم بها الرئيس ويلسون لمعارضة إنشاء مناطق نفوذ لكل

من بريطانيا وفرنسا"، أقام فيصل في إنكلترا حتى السابع من كانون الثاني ١٩١٩ م عندما غادرها إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح بعد أن نُصح بأن يقبل بسيطرة فرنسا على سوريا لأن بريطانيا غير مستعدة لأن تخاصمها حول مشكلة سوريا، وأثناء إقامته في لندن اجتمع حاييم وايزمان اليهودي الصهيوني الذي أصبح فيما بعد أول رئيس لإسرائيل

بعد قيامها في العام ١٩٤٨، وحضر الاجتماع لورانس كمترجم، وقع فيصل اتفاقية مع وايزمان في لندن عرفت باسم "اتفاقية فيصل- وايزمان" كان من بنودها: "أن تسود النوايا الحسنة علاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين، وأن يحتفظ بوكالات عربية ويهودية في بلد كل منهما، وأن تحدد الحدود بين الدولتين بعد مؤتمر السلام من قبل لجنة يتفق على تعيينها الطرفان المتعاقدان، احترام الحرية الدينية ووضع الأماكن الإسلامية تحت رقابة المسلمين"، وطالب فيصل أن يقرن تنفيذ الاتفاقية بشرط استقلال البلاد العربية.

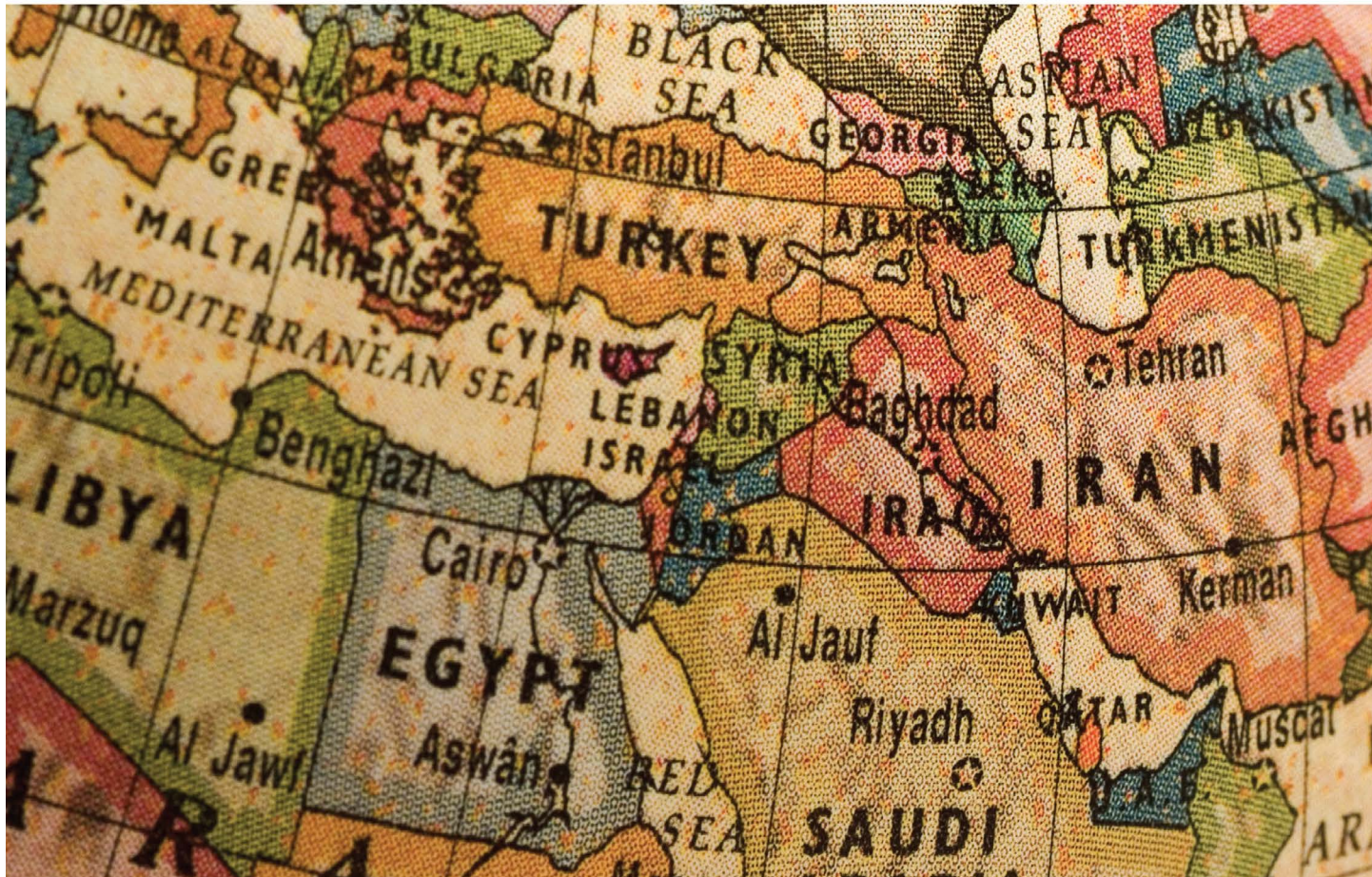
افترق وايزمن و فيصل كلٌ إلى طريقه، واستطاعت الحركة الصهيونية الظفر بأهدافها من مؤتمر الصلح ومما بعده، بينما قال فيصل في مؤتمر الصلح ذاته في باريس: "جئت ممثلاً والدي الذي قاد الثورة العربية ضد الأتراك تلبية لرغبة بريطانيا وفرنسا، لأطالب بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية في آسيا من خط الإسكندرونة - ديار بكر حتى المحيط الهندي جنوباً، معترفاً باستقلالها وبسيادتها من عصبة الأمم».

العرب والروس

لم يحسن العرب الدفاع عن قضاياهم في المنعطفات التاريخية، وكان التخطيط وانعدام الحكمة والرؤية المستقبلية سماتٍ أساسية في أدائهم السياسي، خرج الروس مغدورين من اتفاقية سايكس بيكو، وكان الشيوعيون هم السبب في ذلك، بسبب التفاتهم إلى التغييرات في الداخل الروسي والهيمنة على الإرث القيصري، وبعد قرابة المئة عام على اتفاق سايكس بيكو سazanوف، يجد العرب والروس أنفسهم من جديد أمام مواجهة مشابهة، تفرض على كليهما التعلّم من درس القرن الماضي، فالبرهة التي خسرها الروس لم يعوّضها الاتحاد السوفييتي بمحاولاته فرض نفوذه على الدول ذات الطابع الاشتراكي، أما العرب فيجدون أنفسهم من جديد في لحظة دفاع عن قضايا استقلالهم، وكما لم تنفع عباءة الدول الداعمة قبل مئة سنة، فهي اليوم رهناً باتفاق سري ما يظهر في لحظة ما فيقلب الطاولة والتوقعات جميعها مرة واحدة.

صحيح أن الروس خرجوا من سايكس بيكو سazanوف خاسرين وقتها. لكنهم اليوم يحاولون تعديل التاريخ بالحرب العدوانية التي يشنونها على الشعب السوري.

صحيح أن الروس
خرجوا من سايكس
بيكو سazanوف
خاسرين وقتها.
لكنهم اليوم يحاولون
تعديل التاريخ
بالحرب العدوانية
التي يشنونها على
الشعب السوري.



عندما تفكك الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١ ورثت روسيا عنه إحدى أعظم ترسانتين للأسلحة التقليدية، عدا عن أسلحة الدمار الشامل، وكان أندروبوف قد دفع غالباً ثمن سياسة سباق التسلح التي فرضتها عليه ظروف الحرب الباردة، إذ كانت هذه الترسانة على حساب الوضع الاقتصادي للاتحاد السوفييتي، ذلك الوضع الذي حاول غورباتشوف إعادة التوازن إليه فكان سبباً رئيساً في انهيار منظومة السوفييت، وجاء بعده يلسن ليكمل الانهيار الاقتصادي لروسيا، ويترك مواردها الرئيسية من الغاز والنفط بنسبة ٧٠٪ من ميزانيتها، كما تفيد تقاريرها الاقتصادية.

كان العبء ثقيلاً على بوتين عندما استلم السلطة، فصب جهده كاملاً على تحسين الاقتصاد وتطويره واستطاع أن يحقق بعد لأي نسبة مقبولة من التنمية بعدما أدخل الشركات الروسية في سوق الاستثمار العالمي. ثم كبرت أحلامه وبخاصة بعد أزمة الاقتصاد الأوربي والأمريكي فعمد إلى التخطيط لإعادة الهيمنة على ما يسميه المجال الحيوي لروسيا التاريخية. لكن -على ما يبدو- أوكرانيا كانت له بالمرصاد، وأوكرانيا ليست فقط الحديقة الخلفية لروسيا وإنما شريان منتجها الرئيس إلى السوق الأوروبية، ولذا سرعان ما رد بقسوة على اضطرابات فاحتل القرم والقسم الشرقي منها معتمداً على أغلبية العنصر الروسي فيه. لكنه لم يستطع أن يوازن بين تحركه العسكري ووضعه

الاقتصادي مع العقوبات الاقتصادية الجديدة التي فرضها الغرب عليه.

ربما تساءل بوتين عن الطريق الأفضل لإنقاذ الاقتصاد الروسي الذي تعب طويلاً في تنميته، ووجد أن أمامه ترسانة أسلحة، واقتصاد شبه منهار، فقرر أن يستخدم الترسانة التي نسقها مرور الزمن لإنقاذ الاقتصاد، وكانت سورية محط تلك الخطة، فسورية سوق سلاحه، وموارد إيران والعراق ودول الخليج تحت تصرفها وقد آن الأوان لتوظيف الترسانة من أجل حماية الاقتصاد.

أما الغرب فلم يرد عليه عسكرياً إنما استوعب خطته فأفشلها بالتلاعب بأسعار النفط والغاز منتجات روسيا الرئيسة، وبدأ بتخفيض أسعارها حتى قارب الروبل اليوم المئة مقابل الدولار الواحد. وتركه يغرق في سورية علّه تكون نهايته كما سبب أندروف بتشده نهاية الاتحاد السوفييتي.

وهكذا فإن مغامرة بوتين في سورية محدودة الزمن بقدرة الاقتصاد الروسي على الصمود، ولذا كان حذراً في عودته لشعبه، وأعلن أنه لن يستمر في سورية أكثر من أربعة أشهر على أبعد تقدير، ولن يعرض جنوده أوضاعه لأي قتال أرضي، لكن حساباته - وهو الحيسوب الماكر - لم تتناسب مع حنكة ال «ج ب» التي تربى فيها، فقد قارب تواجهه اليوم في سورية الأشهر الثلاثة دون أن يحقق وعوده، وهذا ما يفسر كثافة قصف طائراته وأنواع الأسلحة التي تتدفق حمماً على الشعب السوري والأهم اضطراب جنرالاته ليخوضوا بأنفسهم المعارك مع الثوار السوريين تنفيذاً لتعليماته الحازمة بضرورة تحقيق

انتصارات ميدانية قبل موعد المفاوضات السورية التي - عندما وافق على توقيت مجلس الأمن لها - كان يتصور أنها ستكون متزامنة مع نهاية الثورة السورية.

واليوم يتعقد الوضع السياسي العالمي أكثر بشأن الثورة السورية، فصحيح أن أوباما سيودع بعد شهور البيت الأبيض، لكن الأمن القومي الأمريكي لا ينتظر ذهاب رئيس ومجيء آخر، ولذا بدأت الخطط الأمريكية تتحرك على الأرض السورية فعاجلت بأخذ مطار رميلان ليس فقط لأنها منطقة النفط السورية وإنما لقربها من النفط العراقي الذي قد يفلت من الأيدي الأمريكية ويقع في أيدي معادية

لها، ولأن بوتين يُدرك جيداً هذه التعقيدات فهو يحاول جهده الآن إنهاء الثورة السورية والخروج العسكري الواسع العلني المكلف لقواته والإبقاء على من عقد معاهداته معه لينفذها تحرسها قواعد عسكرية يغطي كلفتها الاقتصاد السوري مستقبلاً.

عندما يُدرك أبناء الثورة ما يريده العدو وما يهدف قتاله له، يستطيعون وضع الخطط المناسبة لإفشاله، ويرون ملامح الأمل بالانتصار منذ اليوم، فقد يكون من المفيد مثلاً إشغال العدو الروسي أطول مدة ممكنة بطريقة حرب العصابات ففي ذلك تأثير على ازدياد انهيار اقتصاده وإحراج لبوتين في وعوده ودفع لنمو المعارضة الروسية لديه، وقد يكون تكبيد جيشه خسائر بشرية كما حدث للإيرانيين، من خلال كائنات أو طرق أخرى مفيدة أيضاً واعتقد جازمة أن الأبطال السوريين لن يعجزوا عن إبداع طرق المقاومة والدفاع عن الوطن.

آفاق التدخل العسكري الروسي في سوريا

ولأصدقاء الشعب السوري وثورته أيضاً دور كبير في لجم خطط بوتين، مع أن ما يحدث لسوق النفط والغاز يصيبهم منه ما أصاب روسيا وإن لم يتأثروا بالقدر ذاته نتيجة متانة اقتصادهم سابقاً، فقد يكون عدم المساهمة بإنقاذ الاقتصاد الروسي عملاً في صالح الثورة السورية، إذ بالرغم من الانفتاح غير المسبوق لدول الخليج على السوق الروسية - ولها أسبابها التي ندرکہا - إلا أن السياسة البوتينية لم تقدم لهم إلى الآن - بحسب ما يظهر وبحسب ظني - ما يُطمئنهم حقيقة على أمنهم القومي، إنها تريد أن تأخذ بالقنطار وتعطي بالقطرات، وأعتقد أن دول الخليج العربي لديها من الحنكة السياسية الكثير، فهي ليست ممن يتحرك دون دراسة مستفيضة لأهمية تحركها ونتائجه وتاريخها السياسي يشهد عليها. ولن يكون بوتين أول أو آخر ماكر تتعامل معه.

إن الفشل يلوح في آفاق التدخل الروسي في سورية، ومحدوديته واضحة، فلن يغامر بوتين باصطدام طائراته، بالطائرات الأمريكية، ولن يغامر الغرب بحرب عالمية ثالثة، وهذا ما يُفسر حرص الجانبين على إنهاء «المسألة» السورية بالسرعة الممكنة، وسخرية الأقدار تجعل اليوم الإنهاء السريع لثورتنا سيكون على حساب تضحيات الشعب السوري، وإن النصر صبر ساعة وليس علينا إلا التوحد والصمود، وعدم الانشغال كثيراً بتوافه الأمور وسورية حقاً لمن يدافع عنها وليس لمن يدخل الاحتلال الأجنبي لها، ويُشرذمها مجتمعاً ودولة، ويخون أهم مسؤولية تقع على حاكم في العالم.

كان العبء ثقيلاً

على بوتين عندما

استلم السلطة،

فصب جهده كاملاً

على تحسين

الاقتصاد وتطويره

واستطاع أن يحقق

بعد لأي نسبة

مقبولة من التنمية



التمكّن السوري الحتمي

شام محمد
علي

ودهر حرز كل مدرك/ وما لهما لونٌ يحسُّ ولا
حجمٌ»
ولكنها الأزمنة، تتقلب وتطلب من عابريها
مواكبتها، والمرور منها باتزانٍ ودراية وإدراك،
دون أن تفصح وتقول ها هو شكلي ولوني
وطبيعتي، فإن تغير الزمان، وجب التغير معه
دون تردد، ولا ينبغي أن ننسى أن هناك من
نطلق عليهم أنهم سابقو عصورهم..إذاً فهناك
من يتأخرون عن أزمنتهم ويخلفون في الغابرين.
لا خيار سوى بالتمدن. وهو الخيار التاريخي
لهذه البلاد. وهو حاصل شاء من شاء وأبي من
أبي. فلا الدكتاتورية قادرة على لي عنق التاريخ.
ولا الفوضى ولا الأضاحي قادرة على الاستمرار
بلا نهاية.

حقاً، إلى تلك الحكمة الشهيرة التي تقول (الوقتُ
أجدرُ بأن تُصادقه لا أن تُقاتله) فيطوِّعون زمانهم
لما يريدون، ويرسلون سهامه إلى الأهداف التي
يرنون إليها، ومن تحدّى الزمان من قبل عاد
خائباً، ألم يقل المتنبي:
أريدُ من زمني ذا أن يبلِّغني ما ليس يبلغه
من نفسه الزمنُ
فعثر عليه بعد زمنٍ والدبابير تدخل وتخرج
تحت عمامته، ولم يأخذ من زمنه أكثر مما أخذ
الزمان منه، وصار آيةً للناس في البلاغة والعزّة
والخيال و.. سوء المنقلب. فأما تطويع الزمان،
فهو لا يحصل إلا بالمهارة في اللعب على الظرف
والأحداث والمعطيات، أي بكلماتٍ أخرى...
بالمهارة السياسية، وليس بالصدام مع العناصر،
وهنا تأتيك الحكمة من أبي العلاء المعري: «مكان

ودائرتها وأرضها هي المدنية، وليس الاحتراب،
فإن على أرض المدنية التي تسمى سوريا، لابد
وأن تنشأ منصة للحضارة من جديد. في وجه
الهمجية التي اشتعلت واندلعت نيرانها في كل
شبر من بلدنا.
سوريا التي اعطت العالم الأبجدية، وأعطته
الأديان الثلاثة. وأعطته العمارة والفنون
 والتجارة. لن تعجز عن إعطاء شعبها مخرجاً
مما هو فيه اليوم. وهو بالطبع نتيجة لتراكم
طويل. وليس واقعاً مفاجئاً.
سوريا التي لم تكن يوماً من الأيام دولةً
لنفسها فقط، بل للعالم بأسره. ستكون أخيراً
بلداً خاصاً بشعبه. يؤيه كما آوى غيره من
شعوب الأرض على مر التاريخ.
ستوصل السوريون الذين يعيشون في زمنهم

قرأت أنه لم يكن على البشرية أن تشتغل على
ما اشتغلت عليه، وتعمل على ما عملت عليه
من تراكمٍ كبير وواسعٍ للخبرات الإنسانية، لو
لم يكن لتلك الخبرات حاجة ماسّة، ولم تفعل
البشرية ما فعلته، ولم تنجز ما أنجزته من
أجل المبادئ فقط، بل من أجل المصالح.
ومن حق البشرية أن تفخر بمنجزها الأكبر،
الذي تمثله المدنية، كصيغة عيشٍ وتفاعلٍ
أقصى بين متناقضات لا حد ولا حصر لها، لأنها
ستفعل تلك الآليات التي تفرضها المدنية، في
أوقات الشدّة، وأوقات الأزمات، بحيث تحشد
كل طاقتها، وكل إمكاناتها ومهاراتها من أجل
منع الانفجار، وليست المدنية غريبة علينا
هاهنا.
ولأن السياسة فنٌّ تداول الأمر، ونيل المكاسب،

العدد ٢٦
كانون الثاني - يناير ٢٠١٥

سوري
شام

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

1793 ضحية في كانون الأول

وصلت حصيلة إجماع قوات النظام في شهر كانون الأول إلى نحو ١٧٩٣ شخصاً، فيما بلغ مجموع الضحايا الذين قضاوا تحت التعذيب ما لا يقل عن ٣٤ شخصاً، وارتكب النظام ما لا يقل عن ٥٥ مجزرة في شهر كانون الأول توزعت على النحو التالي: ريف دمشق ١٧ مجزرة، حلب ١٦ مجزرة، ادلب ٥ مجازر، دير الزور ٥ مجازر، حمص ٤ مجازر، الحسكة ٣ مجازر، درعا مجزرتان، الرقة مجزرتان، حماة مجزرة واحدة، تلك المجازر تسببت بمقتل لا يقل عن ٦٧٧ شخصاً، بينهم ١٧٤ طفلاً، و ١٠٠ سيدة، أي ٤١٪ من الضحايا هم نساء وأطفال، وهي نسبة مرتفعة جداً، وهذا مؤشر على أن الاستهداف في معظم تلك المجازر كان بحق السكان المدنيين.

الإعلاميون والكوادر الطبية ضحايا إجرام النظام

تابعت قوات النظام انتهاكاتها المرتكبة بحق الكوادر الطبية خلال شهر كانون الأول حيث قتل ١٠ اشخاص في شهر كانون الأول، يتوزعون إلى ٥ اشخاص على يد قوات النظام، و شخص على يد القوات الروسية، شخصين على يد تنظيم داعش، ٢ من الكوادر الطبية على يد المعارضة المسلحة، فيما تم قتل ٤ إعلاميين، وتم تسجيل ٣ حالات اعتقال تم الافراج عن احدها على يد قوات النظام، وحالتي اعتقال تم الافراج عن احدها على يد المعارضة المسلحة، ٣ حالات اعتقال تم الافراج عنها على يد الادارة الذاتية الكردية، اضافة الى ٦ حالات خطف وحالتي اعتقال افرج عنهما و حالة افراج عن اعلامي واحد.

21179 ضحية في عام 2015

شهد عام ٢٠١٥ استمرار تدفق شلال الدم في سوريا، حيث قتل ما لا يقل عن ومقتل ٢١١٧٩ شخصاً في عام ٢٠١٥. وذكر تقرير للشبكة السورية لحقوق الإنسان ان قوات النظام قتلت في عام ٢٠١٥ م، نحو ١٥٧٤٨ شخصاً، منهم ٣٧٠٤ مسلحين، و١٢٠٤٤ مدنياً، بينهم المدنيين ٢٥٩٢ طفلاً، و١٩٥٧ سيدة. وما لا يقل عن ١٥٤٦ شخصاً، بسبب التعذيب بينهم ٧ أطفال، و٤ سيدات. وأفاد تقرير آخر صادر عن الشبكة ان هجمات القوات الروسية تسببت بمقتل ٨٣٢ مدنياً، بينهم ١٩٩ طفلاً، و١٠٩ سيدات، وتشريد عشرات الآلاف ونزوح قرابة ١,٢ مليون سوري، كما عرض التقرير الانتهاكات التي قامت بها قوات الإدارة الذاتية الكردية، التي بلغت ١٣٢ مدنياً، بينهم ٣٢ طفلاً، و١٢ سيدة. بينهم ٤ أشخاص قضاوا تحت التعذيب، وأشار إلى أن قوات الإدارة الذاتية اعتقلت ما لا يقل عن ٨٤٦ شخصاً، بينهم ٤٢ طفلاً، و٤٥ سيدة، وعرض التقرير مختلف أنواع الانتهاكات التي نفذتها التنظيمات الإسلامية المتشددة حيث قتل تنظيم داعش ٧٣٢ مسلحاً، و١٣٦٦ مدنياً، بينهم ١٤٩ طفلاً، و١٨٨ سيدة. بينهم ما لا يقل عن ١٠ أشخاص قضاوا تحت التعذيب. بينما تُقدر أعداد المعتقلين في سجون التنظيم بقرابة ١٩٥٦ شخصاً، بينهم ٢٤٥ طفلاً و٢١٨ سيدة. فيما قتل تنظيم جبهة النصرة ٨٩ مدنياً، بينهم ١٣ طفلاً و١١ سيدة. بينهم ١٩ شخصاً قضاوا بسبب التعذيب.

17318 برميل متفجر على المدنيين

وقد ميز عام ٢٠١٥م، باستخدام النظام البراميل المتفجرة بشكل ملحوظ، حيث ألقى الطيران المروحي مالا يقل عن ١٧٣١٨ برميلاً متفجراً خلال العام على مختلف المحافظات السورية، وسقط العدد الأكبر منها في محافظة ريف دمشق، ثم درعا وحلب وحماة، مخلفاً نحو ٢٠٣٢ شخصاً، بينهم ٤٩٩ طفلاً، و٣٣٨ سيدة. ولم تنحصر أضرار البراميل المتفجرة بالضحايا المدنيين فقط، بل تسببت بدمار ما لا يقل عن ٢٠٦ مراكز حيوية، منهم ٥٢ مركزاً دينياً، و٣٩ مركزاً تريبياً، ووثق تقرير للشبكة السورية لحقوق الإنسان ما لا يقل عن ١١١٤ حادثة استهداف لمنشآت حيوية في عام ٢٠١٥م، توزعت حسب الجهة المستهدفة إلى ٧٧٤ حادثة من قبل قوات النظام، و١١٩ حادثة على يد القوات الروسية، و٦٧ حادثة على يد تنظيم داعش، و٣ على يد جبهة النصرة، و١٠٢ على يد فصائل المعارضة المسلحة، و١٣ حادثة على يد قوات الإدارة الذاتية الكردية، و١٥ حادثة على يد قوات التحالف الدولي، و٢١ حادثة على يد جهات لم يتمكن التقرير من تحديدها. وفصل التقرير في المراكز الحيوية المستهدفة خلال عام ٢٠١٥م، حيث توزعت إلى ٢٥٣ من البنى التحتية، ٢٤٣ من المراكز الحيوية الطبية، ٢١٦ من المراكز الحيوية الدينية، ٢٠٢ من المراكز الحيوية التربوية، ١٤٠ من المربعات السكنية، ٢٥ من الشارات الإنسانية الخاصة، ٢٣ من المراكز الحيوية الثقافية، ٨ من مخيمات اللاجئين، ٤ من الممثلات الدبلوماسية.

اغتيال قيادي سابق في جبهة النصرة في درعا

أصدرت جبهة النصرة في الخامس عشر من كانون الثاني/٢٠١٦ بياناً قالت فيه إن مجموعة من الممثلين هاجموا سيارة تابعة لها في بلدة أم المياذن، وأطلقوا النار عليها ما أدى إلى إصابة قائد عسكري في جبهة النصرة بعدة طلقات نارية ومقتل مرافق له، وبناء عليه قامت النصرة بتوجيه عناصرها إلى المنطقة، وبعد تدخل وجهاء من عشيرة المحاميد تم التوصل لتسليم الجناة وعرضهم على لجنة شرعية مستقلة، مؤكدة قيام الوجهاء بظهر أمس الأربعاء بتسليم عدد من المطلوبين إلى جهة مستقلة لمحاكمتهم شرعاً.



الائتلاف الوطني يدين تفجير اسطنبول الإرهابي

ادان الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية بشدة التفجير الإرهابي الذي استهدف مدينة اسطنبول؛ وقدم بتعازيه لذوي الضحايا، واكد من خلال بيان صحفي اصدرته في الثاني عشر من كانون ثاني/يناير ٢٠١٦، وقوفه إلى جانب تركيا في التصدي لأعمال الإرهاب التي تستهدف أمنها واستقرارها، وعبر؛ نيابة عن الشعب السوري؛ عن تقديره لمواقف حكومة تركيا وشعبها في مساندة الثورة السورية، وتقديم الدعم والمساندة لأكثر من مليوني سوري اضطروا للجوء نتيجة إجرام نظام الأسد.



وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

بيان براءة أهل حوران من هيثم مناع

اصدر اهل حوران بيان براءة من هيثم مناع، تبين فيه أنّ هيثم مناع ليس من ثورتنا ولايمثلها، بل هو ضدها تماماً ويقف في صف أعدائها، لأنّه هاجم سورية الذين حملوا السلاح دفاعاً عن حقوقهم وأرواحهم وأعراضهم ضدّ نظام الإجرام، ثمّ هو اليوم يناقض ذاته وينقلب إلى زعيم ميليشا ”البيدا“ الانفصاليّة والتي تحمل السلاح لأجندات غير وطنيّة، وازاف البيان الذي اصدره في الحادي عشر من كانون الثاني/٢٠١٦، انه البيان صدر ايضا لأنّه يقف ضدّ المعارضة السّوريّة بشقيها السّياسي والعسكريّ ويريد أن يدخل سورّيّة بدعم إيران وعلى ظهر دبابّة روسيّة ولأنّ أهل بلده لم يختاروه ولم يرضوه ممثلاً لهم ولا متحدّثاً باسمهم

إدانة التعرض لناشطين إعلاميين في إدلب

ادان الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية قيام مجموعة مسلحة؛ تنتمي إلى «جبهة النصره»؛ باعتقال الناشط الإعلامي هادي العبد الله، والناشط رائد الفارس مدير إذاعة «فرش» صباح العاشر من كانون ثاني/يناير ٢٠١٦ في بلدة «كفر نبل» بريف إدلب، ومصادرة الأجهزة والبعث بمحتويات المقر، وحملّ الائتلاف «جبهة النصره» مسؤوليّة سلامة الناشطين، وهما ممن تعرضا للمخاطر في سبيل نقل ما يجري في سورية للعالم الخارجي، وطالب بالإفراج عنهما، والسماح لهما بممارسة عملهما بشكل آم، مبينا في بيانه الذي اصدره في العاشر من كانون ثاني/يناير ٢٠١٦، إن التعرض لوسائل الإعلام ألحق ضرراً بالغاً بالثورة السورية، وحال دون نقل معاناة الشعب السوري بشكل فاعل، مطالبا بتوفير الحماية الكاملة للصحفيين والناشطين الإعلاميين وعدم التعرض لهم أو المسّ بهم.

24 فصيلا ثوريا يدعمون موقف لجنة المفاوضات في وجه الضغوط الدولية

أعلن أربعة وعشرون فصيلاً ثورياً من خلال بيانهم الصادر في الثامن من كانون الثاني/يناير، وقوفهم بجانب الهيئة العليا للتفاوض المنبثقة عن مؤتمر الرياض، ودعم موقفها في وجه أية ضغوط ترمي إلى فرض تنازلات محتملة عن ثوابت الثورة وما أقره مؤتمر الرياض، مشيرة إلى أن ضغوطاً أممية ودولية تمارس على الهيئة لتقديم تنازلات، وإن قوى الثورة السورية التفتّ حول ما أقره مؤتمر الرياض، وما اطلعت به هيئته العليا للتفاوض، دعماً للحل السياسي في الثورة السورية، وأشار البيان إلى أنه وبدلاً من الضغط على النظام وحلفائه والسير في هذا الطريق، ووقف قتل الأهالي وتجويعهم، فإن ضغوطاً دولياً وأممية يمارس على الهيئة العليا للتفاوض لتقديم تنازلات شأنها إطالة أمد معاناة الشعب السوري وسفك دمه، وأعلنت الفصائل الموقعة في بيانها وقوفها إلى جانب الهيئة العليا للتفاوض، ودعم موقفها في وجه أية ضغوط ترمي إلى فرض تنازلات محتملة عن ثوابت الثورة السورية وما أقره مؤتمر الرياض، وأكد البيان رفض الفصائل الموقعة أية لقاءات منفردة باسم الثورة السورية خارج إطار الهيئة العليا للتفاوض، وعدم قبولها بأية تنازلات من الهيئة عن ثوابت الثورة السورية، وذلك حرصاً على إنجاح الجهود الرامية لحل سياسي، ومنعاً للعبثية وإضاعة الجهود، وتحقيقاً لأهداف الثورة.

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

ثلاثة أحزاب بينها الـ PYD تجمد عضويتها في هيئة التنسيق

أعلنت ثلاثة أحزاب أبرزها حزب ”الاتحاد الديمقراطي PYD“ الكردي في بيان اصرته في الثامن من كانون الثاني/يناير، تجميد عضويتها في ”هيئة التنسيق الوطنية“ المعارضة لعدة أسباب أهمها تمرير أعضاء المكتب التنفيذي للهيئة مسألة إدراج وحدات الحماية الكردية في قائمة الارهاب، وذكر البيان إن وحدات حماية الشعب والمرأة وقوات سوريا الديمقراطية -اليوم- شريكة للأسرة الدولية والتحالف الدولي بالتصدي للخطر الذي ينال من سوريا ويهدد في الوقت نفسه العالم بأسره.

هيئة التنسيق الوطنية



مضايكا كارثة إنسانية تتطلب تدخلا دوليا عاجلا

في ضوء التقارير الطبية والميدانية التي تكشف عن وضع إنساني بالغ الخطورة في بلدة مضيا بريف دمشق في ظل منع ميليشيا حسن نصرالله وبشار الأسد لأي نوع من المساعدات من الدخول؛ طالب الائتلاف الوطني خلال بيان صحفي اصدره في السابع كانون ثاني/يناير ٢٠١٦، بدعوة الأمم المتحدة لتصنيف الوضع في مضيا ومعها الزبداني ومعظمية الشام (٩٠ ألف مدني محاصرين) كارثة إنسانية وإقرار تدخل دولي إنساني عاجل، وتقديم المساعدات عبر الجو في حال مواصلة الميليشيات منعها من الدخول برّاً، ودعوة مجلس الأمن لمناقشة الوضع الإنساني في مضيا والمدن المحاصرة، كونه يخالف قراراته السابقة، ومنها القرار ٢٢٥٤، وتحمل المسؤولية في إنقاذ ارواح المدنيين، وبينهم أطفال ونساء.



إعلان 12 قرية تحت سيطرة (داعش) شمال حلب منطقة عسكرية

أعلنت فرقة السلطان مراد في بيان لها اصدرته في السابع من كانون ثاني/يناير ٢٠١٦، إن كلاً من قرى (طوقلي - غزل مزرعة - قرة كوبري - نبي يبان - مريغل - راعل - جكة - شورين - دوديان - خربة - قرة مزرعة - مغيدين) تعتبر منطقة عسكرية بعد ٢٤ ساعة من تاريخ إعلان البيان، يمنع اقتراب المدنيين منها وأي تجاوز للمدنيين سيكون على مسؤوليتهم الشخصية.



انشقاقات داخل تشكيلات الجبهة الجنوبية

أعلن لواء ”السبطين“ أحد تشكيلات المجلس العسكري في القنيطرة عبر بيان اصدره في الخامس من كانون الثاني/يناير، عن انسحابه من المجلس العسكري في المحافظة، وذلك لقلّة الدعم المقدم وعدم تزويد اللواء بالذخيرة، مؤكداً أنّ اللواء سيستمر بالتعاون مع تشكيلات الجبهة الجنوبية، وأعلن أيضاً لواء ”مجاهدي حوران“ انسحابه من الجيش الأول وفرقة الحمزة بقيادة العقيد ”صابر سفر“، وذكر البيان إن ”العقيد سفر لا يمثل مجاهدي حوران، ولا علاقة لهم به، وأن القائد العسكري الوحيد المخول هو الملازم أول كنان الحبوس“.



وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

لؤي حسين يعلن انسحابه من الهيئة العليا للمفاوضات

أعلن لؤي حسين، رئيس تيار بناء الدولة السورية انسحابه من الهيئة العليا للمفاوضات، وقال عبر بيان الانسحاب الصادر في الخامس من كانون الثاني/ يناير،: ”يؤسفني، بعد مضي حوالي شهر على تشكيل الهيئة العليا للمفاوضات، أن أجد نفسي مضطرا للإنسحاب من عضويتها، وذلك لأسباب عديدة نشأت على خلفية تشكيلها على أساس المحاصصة الحزبية. وقد أعلنت عن تحفظي على هذه الطريقة منذ لحظة إعلانها كآلية لتعيين أعضاء الهيئة، وتلا ذلك تحفظي الدائم والشديد على تركيبة الهيئة القائمة على هذه المحاصصة، لكنني لم أنجح إطلاقا بأي تعديل عليها أو على آلية عملها بحيث تحوّلَت إلى منصة خطابية جديدة لبعض أطراف المعارضة التي لا ينقصها منصات خطابية”، وأضاف:“انسحابي هذا لن يؤثر إطلاقا على دعمي الشخصي أو الحزبي للعملية السياسية لحل الأزمة السورية وفق قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤، ولن أتوانى لحظة بالدفاع عن حقوق جميع السوريين بالحرية والمساواة والعدالة“.

بيان انسحاب لؤي حسين، رئيس تيار بناء الدولة السورية من الهيئة العليا للمفاوضات.

بؤسفني، بعد مضي حوالي شهر على تشكيل الهيئة العليا للمفاوضات، أن أجد نفسي مضطرا للإنسحاب من عضويتها، وذلك لأسباب عديدة نشأت على خلفية تشكيلها على أساس المحاصصة الحزبية. وقد أعلنت عن تحفظي على هذه الطريقة منذ لحظة إعلانها كآلية لتعيين أعضاء الهيئة، وتلا ذلك تحفظي الدائم والشديد على تركيبة الهيئة القائمة على هذه المحاصصة، لكنني لم أنجح إطلاقا بأي تعديل عليها أو على آلية عملها بحيث تحوّلَت إلى منصة خطابية جديدة لبعض أطراف المعارضة التي لا ينقصها منصات خطابية.

بأخي على بناء الهيئة القائمة على المحاصصة هو مأخذ براغماتي. إذ أتى انخسني أن هذه الهيئة وآليات العمل الناجمة عنها أن يتسببا بانقصار ساقط للنظام على طرف المعارضة. وحدها تستطيع الهيئة بإدعاء أن النظام انصر سبب حلالة الدويلين.

بناء على هذا فقد تمثيت على السيد دي ستورا وريقة العمل على إيجاد طريقة لحماية مصالح الغالبية الساحقة من السوريين الذي ليسوا ضمن صفوف النظام ولا صفوف المعارضة. وقد كنت أمل أن تقوم الهيئة العليا للمفاوضات بهذه المهمة، وكنت ظنيت منها أكثر من مرة أن تكون الطليعة المعرّنة على مصالّح وأمل جميع السوريين من دون استثناء، لكن بعضهم اضطر أن كاتشي هذا لا يخدم الثورة ولا يخدم الوطن.

انسحابي هذا لن يؤثر إطلاقا على دعمي الشخصي أو الحزبي للعملية السياسية لحل الأزمة السورية وفق قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤، ولن أتوانى لحظة بالدفاع عن حقوق جميع السوريين بالحرية والمساواة والعدالة، ولن أقلّ الشاغل عن أي حق من هذه الحقوق ولا عن ضوح السوريين بالعيش بأمان وكرامة في ظل نظام ديمقراطي مبني على سيادة الواطنة التي لا تمسّر من مواطن وأخر على أساس الدين أو القومية أو الطائفة أو الجنس أو الثقافة.

كتائب الثوار تطلق معركة استعادة اللواء 82

أعلنت فصائل الجبهة الجنوبية عبر بيان اصدრته في الرابع من كانون الثاني/يناير، عن البدء بهجوم معاكس لاستعادة ما سيطرت عليه قوات النظام من قيادة اللواء ٨٢ وكتيبة النيران في ريف درعا الشمالي، و أنه وفي تمام الساعة الثانية عشر ظهر اليوم تم بدء الهجوم المعاكس من قبل فصائل الجبهة الجنوبية المشاركة في غرفة عمليات (الشيخ مسكين)، لاستعادة ما سيطرت قوات النظام عليه من قيادة اللواء ٨٢ وكتيبة النيران، والفصائل المشاركة هي: (تجمع ألوية أحرار نوى، فرقة الحمزة، الفيلق الأول، جبهة ثوار سوريا، المهاجرين والأصوار، أسود السنة، ألوية سيوف الشام، ألوية الفرقان، مجاهدي الفاروق، فرج المدفعية، الفرقة ٢٤، ألوية قاسيون، ألوية العمري).



الائتلاف يدعم السعودية في وجه إيران

اعلن الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية دعمه وتأييده لخطوة المملكة العربية السعودية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع النظام الإيراني، ودعا كافة الدول العربية والإسلامية لاتخاذ خطوة مماثلة، للرد على جرائم إيران في سورية والعراق واليمن، وتدخلاتها في شؤون السعودية ودول الخليج العربي، وطالب الائتلاف من خلال بيان صحفي اصدره في الثالث من كانون الثاني ٢٠١٦، بقرار واضح من جامعة الدول العربية للردّ على عدوان إيران، وطردها من منظمة التعاون الإسلامي لدعمها الإرهاب وعشرات الميليشيات الطائفية التي تحاصر السوريين وتقتل أطفالهم ونساءهم.



وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

فيلق الشام ينسحب من جيش الفتح ويوجه قواته إلى حلب

أعلن فيلق الشام انسحابه من جيش الفتح، وإرسال قواته إلى ريفي حلب الشمالي والجنوبي، معتبراً أن جيش الفتح أنهى مهمته في معركة فتح إدلب، وقال فيلق الشام في بيان نشره في الثاني من كانون الثاني/يناير: إننا في فيلق الشام قد دخلنا مع فصائل ثورية أخرى لتشكيل غرفة عمليات جيش الفتح لخوض معركة تحرير مدينة إدلب التي توجت بحمد الله بالنصر المبين، وأشار إلى أنه أصبح لمنطقة حلب جنوبها وشمالها الأولية في الجهد العسكري، ”وحيث أن الأعداء من الداخل والخارج النظام وشبيحته والروس يركزون الجهد لإسقاط منطقة حلب، فرأينا أن نعطي الأولوية لدعم الثوار في منطقة حلب، الحالة التي تجعلنا نعلن خروجنا من غرفة عمليات جيش الفتح الذي أنهى مهمته مشكوراً في معركة فتح إدلب الفداء“.



(شهداء اليرموك) ينفي رسميا علاقته بتنظيم داعش

قال لواء شهداء اليرموك في بيان نشره في الحادي والثلاثين من كانون الاول/٢٠١٥، انه أعلن في أكثر من مناسبة أنه لواء مستقل لا يتبع لأي جهة أو تنظيم ولا يرتبط بأي دولة كانت، وإن اللواء يجدد مرة أخرى التأكيد على استقلاليته وعدم ارتباطه بجماعة الدولة الإسلامية، وأضاف ان اللواء كان قد نفى أكثر من مرة هذه الاتهامات التي ساقها بعض أعداء اللواء بغرض تبرير مشروعية قتالهم للواء، مشيراً إلى أن قيادة اللواء الحالية والسابقة قد طالبت الجهات التي تتهم اللواء بمبايعته لتنظيم ”داعش“ بالمناظرة والمباهلة الشرعية، ولكن هذه الفصائل ”رفضت الدعوة أكثر من مرة“، وطالب اللواء في بيانه جميع وسائل الإعلام الراغبة بالحصول على أي معلومات أو تصريحات رسمية التواصل مع المكتب الإعلامي للواء.

أمير أحرار الشام في حمص يطلق مبادرة (لتوحيد الصف ولم الشمل)

قال أمير حركة أحرار الشام الإسلامية في حمص في بيان نشره في الثلاثين من كانون الاول ٢٠١٥، لم يعد التأخر في أن نخطو خطوات عمليات باتجاه جمع الصف مقبولاً عند أحد من عامة الناس ولا من أفراد الفصائل ولا من القادة“، وأشار إلى أن العائق في توحيد الصف هو أنه لم يتقدم أحد ممن ينادي بوحدة الصف لاستلام زمام المبادرة في البدء بهذا الواجب الشرعي، ”ونحن عالقون بين رغبتنا في التنفيذ والتنفيذ الفعلي“، وأضاف ”فوالله ما عرض الدنيا مطلبنا ولا مناصبها ولا خرجنا ابتغاء ذلك، ونعوذ بالله أن نكن سبباً في إفشال هذه الأمة وهزيمتها“، وأضاف انه يدعو إلى القيام بأولى هذه الخطوات العملية، ندعو المؤثرين من رجال الأحرار التحرك بالدعوة إلى اجتماع الفصائل الكبرى في الساحة بداية لوضع خطة عمل توحيدية وبأنفسنا نبدأ لنطرح هذه المبادرة عن يقين وصدق، لنجهز أنفسنا للتجرد من طلب القيادة ولنرض بأن نكون المحركين لهكذا عمل سيادي فخم يرضي الله تعالى قبل العباد، وأكد على أنه ”يجب أن نركز على نقاط الاتفاق وعلى الأمور الإيجابية في العلاقة بين إخواننا ولكن بطريقة عملية، وأي جهد يطلب منا ولو استهلك كل طاقتنا نحن جاهزون له“.





وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات



الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية



الائتلاف: زهران علوش قائد كبير ترحل على طريق حرية سورية وكرامتها

نعى الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية القائد زهران علوش؛ قائد جيش الإسلام؛ وثلة من الثوار القادة؛ الذين قضاوا في جريمة غادرة، نفذتها طائرات العدو الروسي في ريف دمشق، وبين الائتلاف في بيانه الصادر في الخامس والعشرين من كانون الاول ٢٠١٥، إن تلك الجريمة تؤكد أهداف الغزو الروسي لبلادنا، ومنها مساندة الإرهاب والنظام المستبد، واستئصال قوى الثورة المعتدلة، وتأتي بعد أيام من مؤتمر قوى الثورة والمعارضة في الرياض، والذي أكد الالتزام بالحل السياسي، ووقعته القوى العسكرية المشاركة، ومنها جيش الإسلام، وإن ما تقوم بها روسيا الغازية اليوم؛ يمثل خدمة واضحة للإرهاب وتنظيم «داعش»، بضرب وإضعاف فصائل الجيش الحر التي تصدّت للإرهاب وقوّضت أركانه، ومحاولةً جليّة لإجهاض جهود الأمم المتحدة للعودة إلى مسار التسوية السياسية، ويؤكد أنها تتجه لتصعيد خطير، وتنفيذ عمليات اغتيال واسعة، مما يناقض موافقتها الملتبسة على قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٥٤.



بيان حزب التحرير الإسلامي حول استشهاد زهران علوش

اطلق حزب التحرير الاسلامي بيانا في السادس والعشرين من كانون الاول ٢٠١٥، حول استهداف طائرات الإجرام الروسية اجتماعاً لقياديين في جيش الإسلام ما أدى إلى استشهاد عدد منهم وكان من بينهم قائد جيش الإسلام ”زهران علوش، موضحا إن هذا العمل الإجرامي يظهر بما لا يدع مجالا للشك أن الدول الكافرة وأدواتها تنتظر إلى كل المجاهدين والثائرين على أرض الشام نظرة واحدة لا تفرق بين فصيل وفصيل، ومقاتل وآخر. وإن محاولات التصنيف والتقسيم بين معتدل ومتطرف، وبين من يرضى بالحل السياسي ومن يرفض هذا الحل، ما هي إلا ذرائع لبث التفرقة بين أهل الشام كي ترمي بعضهم ببعض، و إن الواجب أن يُشكل هذا العمل الإجرامي حافزاً، وأي حافز، للانسحاب من مؤتمر الرياض ومن كل مؤتمر تفاوضي مع نظام الطاغية الذي يكر بالإسلام والمسلمين ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبْئُورُ﴾، ونادى الحزب المجاهدون المخلصون الى اعلان رفض الحلول والمفاوضات والمؤتمرات، والاعتصام بحبل الله لا بحبال الغرب، والتوحد على مشروع ينبثق من العقيدة، ويحقق العز في الدنيا والفوز في الآخرة. وليكن الهدف القضاء على النظام بكافة أركانه ورموزه وإقامة حكم الله مكانه في دولة خلافة راشدة على منهاج النبوة.

جيش الفتح يعلن النفير العام ويدعوا علماء الأمة لإعلانه

أعلن جيش الفتح في بيان له اصدره في السادس والعشرين من كانون الأول/ديسمبر استنفاراً عاماً ”للمسلمين برجالهم وأموالهم ليقفوا في وجه (المشروع الصفوي) الذي يهدد المسلمين في الشام وخارجها“، داعياً علماء الأمة إلى إعلان النفير العام لحشد ”شباب الأمة“، وقال انه لا يخفى على أحد ما يجري اليوم في بلاد الشام المباركة من تكالب أعداء الإسلام من النظام النصيري ورافضة إيران والعراق ولبنان، بدعم ومشاركة من الطيران الروسي“، مشيراً إلى أن المعركة اليوم لم تعد مع النظام الروسي بل ”مع الرفضة الذين جاءوا بحقدهم على أهل السنة من كل حذب وصوب، ومع السنة من كل حذب وصوب، ومع ذلك كله واجه إخوانكم المجاهدون في جيش الفتح وكبرهم من الفضائل الصادقة بطيران وأسلحة روسيا وميليشيات إيران وحزب اللات بأسلحتهم الخفيفة وصدق اعتمادهم على الله، وأضاف ”إننا في جيش الفتح نعلن لأمتنا الحبيبة استنفاراً عاماً للمسلمين، برجالهم وأموالهم ليقفوا في وجه المشروع الصفوي الذي يهدد المسلمين في الشام وخارجها وتناشد علماء أمتنا ان يعلنوا النفير العام لحشد شباب الأمت، ولتظهر عظم قول الله تعالى: أَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا تَعْمَلُونَ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَعَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُقْلَقُوا إِلَى الْأَرْضِ...“ وتفعلوا لأجل الشام عهد علينا أمام الله ان لا يتخسروا إليكم وان لا تدر الضلع عن ديننا وأرضنا حتى نقضي عن آخرنا أو يفتح الله بيننا وبين الرفضة وهو خير الفاتحين...“ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون“

اللجنة العسكرية العليا لقيادة جيش الفتح

كتائب أكناف بيت المقدس تهنئ السوريين بهلاك (المجرم القنطار)

هنأت كتائب أكناف بيت المقدس في بيان اصدرته في الثاني عشر من كانون الأول/ديسمبر، الشعب السوري العظيم والمجاهدين على أرض الشام المباركة بمقتل المجرم الهالك سمير قنطار القيادي في حزب الله اللبناني والذي قضى على يد العد الصهيوني، وأكدت على المضي في ركب ”الجهاد“ حتى زوال الظلم والطغيان عن أرض الشام المباركة.



وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

اتفاق بين (فتح حلب) ووحدات الحماية لوقف إطلاق النار بين الطرفين

اتفقت غرفة عمليات فتح حلب مع وحدات الحماية التابعة لحزب (الاتحاد الديمقراطي PYD) التاسع عشر من كانون الأول/ديسمبر على عدة نقاط استجابة للمبادرة التي أطلقها مجلس الشورى والصالح بحلب، وجاء في بيان أنه تم الاتفاق بين فتح حلب ووحدات الحماية على وقف إطلاق النار المتبادل بين الطرفين، وعبور المدنيين من حي الشيخ مقصود إلى عفرين وبالعكس بالمناطق والحواجر التي تخضع لسيطرة غرفة فتح حلب، وبما يخص العسكريين يكون ضمن تنسيق مسبق، كما نص الاتفاق على إغلاق المعبر الكائن في منطقة الشيخ مقصود الواصل لمناطق سيطرة النظام، وتشكيل لجنة مشتركة بين الطرفين لمراقبة الإغلاق، وفتح المعابر المؤدية إلى مدينة "عفرين"، ويكون حاجز الشيخ مقصود (السكة) مشترك بين الأطراف، و قضى الاتفاق على تشكيل لجنة عسكرية من كلا الطرفين لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه ودراسة مواقع التدشيم لإقرارها أو رفضها.

تجمع عشائر الرقة يمنع وحدات الحماية من دخول المناطق العربية التي يسيطر عليها مقاتلوه



أعلن تجمع عشائر الرقة منع دخول أي شخص من قوات الحماية الكردية التابعة لحزب (الاتحاد الديمقراطي PYD) إلى المناطق العربية التي يتواجد فيها مقاتلو العشائر العربية، مطالباً وحدات الحماية بتسليم "تل أبيض" إلى أهلها، ومناشداً الأمم المتحدة لتحمل مسؤولياتها تجاه ممارسات وحدات الحماية في "تل أبيض"، وقرر تجمع عشائر الرقة كما جاء بيانه في الخامس عشر من كانون الأول/ديسمبر تسليم "المجرمين" الذين اعتدوا على العشائر العربية وتقديمهم إلى محكمة مستقلة خلال ٤٨ ساعة، مشيراً إلى أن وحدات الحماية تقوم بتهجير ممنهج ومنظم لعشرات القرى العربية في (تل أبيض وسلوك) بحجة "داعش"، وطالب بفتح تحقيق من قبل جهات دولية لعمليات الاعتداءات التي طالت أهالي المنطقة، مناشداً الأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية ومنظمات حقوق الإنسان لتحمل مسؤولياتها اتجاه ما يجري في "تل أبيض"، مؤكداً أن من يحكم "تل أبيض" هي شخصيات كردية غير سورية من جنسيات عراقية وإيرانية وتركية، وأكد تجمع العشائر على أن عشائر الرقة لن تقف مكتوفة الأيدي لما يحصل للأهالي في منطقة سلوك وتل أبيض من تهجير ممنهج ومنظم، مطالبة قوات الحماية في "تل أبيض" بتسليم المنطقة لأهلها لإدارتها من مختلف جوانبها.

بيان حزب التحرير حول الهدن في سوريا

اعتبر حزب التحرير أن الهدن التي تجري في الداخل السوري والمفاوضات التي تجري في الخارج شرٌ وذلك تعليقاً على هدنة حي الوعر في حمص ومؤتمر الرياض، واعتبر الحزب في بيان اصدره في الخامس عشر من كانون الاول ٢٠١٥، أن هذه الهدن والمفاوضات هي نتاج مخططات خبيثة حاقدة، وأن الذي يزودها بتلك الخيوط هم العملاء والأدوات من نظام الطاغية وأعوانه، وبعض أطراف المعارضة السياسية والعسكرية. وأن هذه الهدنات ومؤتمر الرياض للمعارضة يخرجان من مشكاة واحدة ضد الشام وأهلها، كما اعتبر أن المهادنات الجارية هي من وسائل النظام لإطالة عمره، وامتداد سلطانه بعد أن انحسر، واعتبر البيان ايضاً أن مؤتمر الرياض يحمل فشله معه.



وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

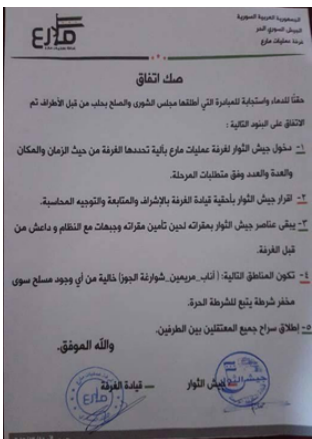
جيش النصر يعلن انضمام (جبهة صمود) إلى صفوفه

أعلن جيش النصر في الرابع عشر من كانون الأول/ديسمبر عن انضمام "جبهة صمود" العاملة في ريف حماة إلى صفوفه، وقال جيش النصر في بيانه، إن انضمام "جبهة صمود" إلى صفوفه جاء في خطوة توحد جديدة والتي بدأها الجيش بتوحيد ثلاثة من كبرى فصائل الشمال السوري وهي: (الفوج ١١) وتجمع صقور الغاب وجبهة الإنقاذ المقاتلة)، وأضاف أن هذا التوحد "خطوة جديدة نحو إرساء دعائم العمل المشترك في الحرب على الظلم والطغيان والاستبداد المتمثل بنظام الأسد وحلفائه، والعُدوان الخارجي وغطرسته، كما يشكل هذا التوحد خطوة جديدة نحو تحقيق أهداف الشعب السوري بكل أطيافه والتضامات في الحرية والكرامة والعدالة والمساواة".



اتفاق بين غرفة عمليات مارع وجيش الثوار يقضي بدخول الجيش لغرفة العمليات

اتفقت غرفة عمليات مارع في التاسع عشر من كانون الأول/ديسمبر مع جيش الثوار على عدة نقاط بعد معارك دارت بين الطرفين على خلفية محاولة جيش الثوار السيطرة على عدة قرى في ريف حلب الشمالي، وقالت في بيان إن الاتفاق ينص على دخول جيش الثوار إلى غرفة عمليات مارع بآلية تحددها الغرفة من حيث الزمان والمكان والعدة والعدد وفق متطلبات المرحلة، كما نص الاتفاق على إقرار جيش الثوار بأحقية قيادة الغرفة بالإشراف والمتابعة والتوجيه والمحاسبة، ويبقى جيش الثوار بمقراته لحين تأمين مقراته وجبهات مع النظام و"داعش" من قبل الغرفة، وأضاف البيان بأن قرى (أنال، مريمين، شواغرة الجوز) تكون مناطق خالية من أي وجود مسلح سوى مخفر شرطة يتبع للشرطة الحرة، إضافة إلى إطلاق سراح جميع المعتقلين بين الطرفين، وأشار إلى أن هذا الاتفاق جاء حقناً للدماء واستجابة للمبادرة التي أطلقها مجلس الشورى والصالح بحلب.



نظريات "النمر".. وجذورها التاريخية بين منطق الأسد وجيشه المقاوم !



أحمد طلب
الناصر

المنهجية الفكرية والمنطق العسكري لدى جيش نظام الأسد يكاد يكون واحداً بين عناصر ضباطه ومجنديه العاملين. لمست هذا خلال مرحلة الخدمة الإلزامية التي شاءت الأقدار أن تُوجَل بسبب إكمال الدراسة الجامعية العليا إلى بداية حكم الأسد الابن لأخدم وقتها برتبة ملازم مجند. كان ذلك بين عامي ٢٠٠٢-٢٠٠٤، ما سمح لي بالاختلاط الدائم مع فريق الضباط العاملين والتعمق أكثر في دراسة إدراكاتهم الحسية والعقلية طيلة عام ونصف تقريباً.

الملهم القائد

لاحظ السوريون عن بكرة أبيهم بأن الرئيس، الذي استولى على السلطة حديثاً آنذاك، شغوفٌ بعلم التحليل والتركيب والاستقراء والاستنباط، ومعظم طرائق التفكير المتداولة عند دارسي الفلسفة. فصارت أقواله «المأثورة» تُردّد أثناء الاجتماعات الصباحية بعد تحية العلم وتقديم الصف وقول من أقوال والده التي نُقِشت في رؤوسنا رغماً عنّا منذ نعومة أظفارنا أمثال: لا حياة في هذا القطر إلا للتقدم والاشتراكية. والأرض مقابل السلام، وإني أرى في الرياضة حياة! إلا أن أقوال بشار كانت تتميز عن أقوال والده كثيراً، حيث كان يهوى تفنيد وتحليل وتفسير المصطلحات السياسية والاجتماعية والجغرافية، لدرجة أن باستطاعته التحدث عن مصطلح «القطر» مثلاً لأكثر من نصف ساعة، ومثله مصطلح «الرياضة» أيضاً، فكم من الوقت يستطيع التحدث عن «الديمقراطية» إن حضرت هذه الكلمة في إحدى خطاباته «السيكلوسياسية»؟ أو عن خطّته في «التطوير والتحديث» كما حدث أثناء كلمته التي تلت أداءه للقسم بعد اغتصابه السلطة في العام ٢٠٠٠ حين أورد:

- «.. إن كل ما سبق يحتاج إلى تحليل، والتحليل يحتاج إلى دراسات ونتائج، التي بدورها تحتاج إلى واقع تستند إليه، والواقع يحتاج إلى أرقام دقيقة، والرقم لا يمكن أن يكذب، وبالتالي فهو صادق وشفاف، والتعامل معه بحاجة إلى صدق وشفافية!»
- «وهذا لا ينفصل عن فكرنا الديمقراطي، بل يتقاطع معه، وهذا يعني أن امتلاك الفكر الديمقراطي يعزز الفرق بين الديمقراطية والممارسات الديمقراطية، وبالتالي لا يجب أن نطبّق ديمقراطيات الآخرين على ديمقراطيتنا!»

أو خلال كلمته في قمة شرم الشيخ عام ٢٠٠٢..

- «هذه القمة استثنائية، وهي بحاجة إلى ظروف



استثنائية وقادة استثنائيين، والقادة الاستثنائيين يعطون قرارات استثنائية، ويرأي أن من يريد أن يكون استثنائياً يجب أن.. إلخ»
والأمثلة كثيرة جداً على منطق التحليلي، حيث لا تخلو خطبة أو كلمة أو لقاءات تلفزيونية منها. والحال، فإن أكثر ضباط جيشه كانوا ينحون المنحى المنطقي ذاته خلال أحاديثهم أو محاضراتهم، لا سيما أثناء دروس التوجيه السياسي الغنيّة بالتفسير السياسية المتعارضة مع الواقع السياسي المعاش في ظل الحرب الكاذبة مع إسرائيل. وتلك الدروس غالباً ما كان يقدّمها عقيد ركن يشغل ضابط الأمن في الفوج.

شهدت تلك الفترة، وأقصد فترة الخدمة العسكرية، أحداثاً عسكرية مهمة للغاية، أحدها غيّر خارطة الشرق الأوسط، ألا وهو احتلال العراق من قبل الأمريكان، وحدث آخر شهدته الأراضي السورية، وهو قصف الطيران الإسرائيلي لمعسكر عين صاحب في ريف دمشق، وهو أحد المعسكرات الذي كانت تتدرب فيه بعض الفصائل الفلسطينية التابعة للقيادة العامة.

كانت الأحاديث والآراء التي تدور بين الضباط حول الواقعة الأولى معظمها مبهمة، غير مفهومة الأهداف والمغزى، غير محددة، لأنهم لا يستطيعون الدفاع عن العراق متمثلاً برئيسه آنذاك صدام حسين، الذي يشكّل بالنسبة لهم الوجه العسكري الشرير الذي حارب حليفهم إيران، ويمثّل اليمين البعثي المتطرف، والنقيض التام لقائدهم وملهمهم الخالد حافظ الأسد! وبذات الوقت لا يمكنهم إعلان تأييدهم لأمريكا - المحتلة- فهي رأس الإمبريالية العالمية، وحليفة إسرائيل الأولى، والشيطان الأكبر، حسب منطلقات النظام

وحليفته إيران. فما كان منهم للهروب من هذا الإحراج سوى نشر بعض الأفكار والتحليلات بين بعضهم وإلقائها على مسامعنا، كأن يستهل أحدهم الحديث بقوله: «ولك يا أخي، السيد الرئيس الخالد الله يرحمه كان عندو بُعد نظر، وسياسي محنّك، كان دائماً ينصحو لصدام حسين إنو يتوحدوا مع سوريا، بس صدام ما كان يرضى لأنو كان عميل لأمريكا اللي اتخلّت عنّو بعد ما كبرّ راس، وسيادة الرئيس بشار كمان زكي مثل القائد الخالد، وسياسي أكثر منّو، وما يخاف من حدا، وكان هوّي الوحيد يلي بيعت دوا وغزاة للعراق وقت الحصار من دون شي، وغصبن عن أمريكا! الله يرحمك يا سيادة الرئيس..»

ويردّ الضابط الآخر عليه: «ولك يا جماعة، سيادة القائد مؤمن بأهداف الحزب والأمة العربية.. أمة عربية واحدة.. يعني شو فائدة الحزب إزا ما طبّقنا أفكارو وساعدنا الدول العربية الثانية؟»

ويردّ ثالث: «قال بوش عم يهدّد سوريا!.. ولك هاد كلّو حكي فاضي وعلاك.. سيادة الرئيس بشار ساوى علاقات قوية كثير مع كل دول العالم، وكلهن يبحبوه، وما لح يسمحوا لأميركا تتدخل بسوريا».
أما ما يتعلّق بانتهاك إسرائيل وضربة معسكر عين صاحب، فقد صار الجميع وقتها يكرر الجملة المعتادة: «نحننا نحتفظ بحق الرد، والسيد الرئيس زلي حكيم وواعي، وإسرائيل عم تستفزّو بس هوّي أركى من هيك، وبكرا بتشوفوا الرد!»

النمر ونظريته «أعداء العالم» و

اللاشعور

أولئك الضباط الذين مررتُ عليهم، وغيرهم

من الضباط، يُصابون بحالة من عدم الاتّزان وضحالة في التعبير والتحليل المنطقيّين في الحالات المخالفة لحالات الهلع والخوف التي ذكرتها، وأقصد هنا في حالات الانتصار الوهمية التي تأتي فجائية عادةً ودون معرفة كيفية حصولها أو سببها، كما حصل مثلاً في عملية فك الحصار عن مطار كويرس منذ أيام بفعل الطائرات الروسية ومشاة داعش، ثم ليعاد تأهيله لقصف المدنيين من جديد، ليخرج علينا العقيد سهيل الحسن الذي يلقيّه عناصره بالـ (النمر)، والذي حيكت حوله الأساطير وحكايا التضحيات والبطولة المقصود بها السرقات و(التعفيش) وعمليات القتل الجماعي للمدنيين والاعتصابات، حتى سرت شائعات بأنه المقرب لعناصر الجيش أكثر من قائده الملهم، ليخرج في مقابلة مع المذيع شادي الحلوة، ذلك المذيع الذي ظهر على تلفزيون النظام في بداية فك الحصار عن المطار يصيح ويرعد مرتدياً البزة العسكرية، ليجيب «النمر» على شادي حين سأله: ماذا تقول للمرتزقة الإرهابيين الذين يحاربون سوريا؟

تنهّد النمر في البدء، وتناول نفساً عميقاً ليخفي من خلاله فرحته وابتسامته بالنصر، كيف لا، وهو العسكري المحارب القدوة وهو الذي ينتقل من انتصار تعفيشي إلى آخر غير عابئ بالفرح والسعادة! ثم أتحنفا بـ (الجواب-النظرية) مستذكراً ومستلهماً منهجية قائده المفدّى، رئيس العالم، في المنطق التحليلي.. وبعدها بلحظات ولدت نظرية «أعداء العالم» المستمدّة من خلاصة الفكر الأسدي الحديث لتفتح أفقاً جديدة في علم المنطق الفلسفي العسكري لدى جيش النظام الأسدي ورئيسه المتبني لنظرية «نصف الكأس الممتلئ»!

نص النظرية: «أنت تقول عن أعداء العالم، أنا أقول لك أن على كل العالم أن يعرف أعداءه، ويشخصهم بشكل جيد.. فهل أعداؤنا هم أعداء كل العالم؟ بالتأكيد لا.. هل من يعيث دماراً وخراباً في سوريا يعاديه كل العالم؟.. على العالم كله أولاً أن يعرف عدو العالم، وعلى من يدعم أعداء العالم يجب أن يعرف بأنه ليس من العالم. ومن كان يظن أن يقول غير ذلك فلينتظر منّا ولينتظر منهم، أقول منهم، أعداء العالم، البرهان والدليل.. هل يوجد عاقل في الدنيا يدعم عدو ذاته؟! أنت تسألني (سؤالاً) غريب عن أعداء العالم.. حربنا مع عدو العالم.. أي عالم؟!».

إلا أن نظرية أعداء العالم لم تكد تحتل مكانتها المميّزة بين قريناتها «العسكر-أسدية» حتى تبعتها النظرية «النمريّة» التالية، وليست الأخيرة، المسماة نظرية «اللاشعور».

ما يُّهر في تلك الأخيرة أنها أتت أكثر اتّزاناً ووضوحاً مقارنة بسابقتها، حيث ظهر «النمر» في وضوح النهار بدون منظار ليلي! والكاميرا ترصد جميع العناصر المرئيين والناهلين من معرفته اللامحدودة، منتظرين صداحه في المنطق الفلسفي اللامقيّد واللاعقلي

واللاشعوري!

وهنا أيضاً، أتحنفا زينون القرن الواحد والعشرين، ديكرات جيش الأسد، أمل الممانعة في الميتافيزيقيا، النمر الصاعد.. بنظرته الجديدة في العلم والفن والفلسفة، والتي كانت عصارة خبرته المعرفية واطلاعه على خبرات أسلافه الذين مررت عليهم..

نص نظرية اللاشعور: «لقد أصبحت البطولات باللاشعور، وهذا أمر ليس سهل على الإطلاق، هو جملة متكاملة.. سلسلة من الاحداث الزمنية التي يبنى عليها أشياء كثيرة هي اللاشعور المنظم، اللاشعور المليء بالولاء المليء بالعطاء.

أتم تقومون بأعمالكم انطلاقاً من اللاشعور بإحساسكم. يظنون أن كل هذه.. كل ما فعلوه شيء صعب، لا.. ليس صعب على اللاشعور العظيم، المتجلى في القيم والمفاهيم الروحية بما تجلّى في اللاشعور الموجود في ذواتكم..».

قال بوش عم يهدد

سوريا!.. ولك هاد

كلو حكي فاضي

وعلاك.. سيادة

الرئيس بشار ساوى

علاقات قوية كثير

مع كل دول العالم

أطفال الليل والحرارة

سلام أبو شالة

ومسؤولة عن ثلاثة أطفال من بينهم آية إذ فقد زوجها في سوريا منذ بداية الثورة وحال المرض دون عملها، وعلى آية أن تساعد على العيش وسد الرمق ضمن الحد الأدنى، فالحياة في استنبول غالية.

وتقول السيدة إيمان الرفاعي وهي ناشطة مدنية من حمص بأن هنالك مشكلة في ذوي هؤلاء الأطفال الذين يتم تسجيلهم في المدارس التركية المجانية أو في مدارس خاصة ذات أجر من قبل فاعلي الخير، كما وحصل من قبل متبرعة من باكستان وتم تسجيل ثلاثة أطفال من قبل، وتم تسجيل طفلتين أيضاً بعد إقناع والدتهما، لكن المشكلة التي تواجهها بأن أكثرهم يغادرون فيما بعد مقاعد الدراسة ويعودون إلى التسول ليلاً بأمر من ذويهم، ولا أحد يستطيع إعادتهم إلى المدرسة ثانية.

وتروي إيمان قصة مؤلمة حدثت أمامها من طفلة تتسول ليلاً في الفاتح، حيث أعطاهما أحد الشباب ليرة تركية واحدة ثمن علبة محارم للجيب وتركها لتبيعها ثانية، فلم تعجبها الليرة لتبدأ بالبكاء بصوت عالٍ، وخاطبها الشاب بأنه لا يملك غيرها مع ١٠ دولارات أظهرها لها، فأخذتها من يده وركضت بعيداً وسط دھولنا، فأى مستقبل ينتظر هؤلاء الأطفال متى دخلوا مرحلة المراهقة الفعلية في الشوارع حيث التشرد والتهيه في فصول الحياة الأشد قتامة.

هذا ما يحصل ليلاً في شوارع استنبول، وفي بيروت وفي القاهرة.. وحيث يوجد طفل سوري لاجئ. مأساة تراوح مكانها وسط غياب قانون يلزم الأهل المنهمكين بتأمين لقمة عيشهم مقابل دراسة أبناءهم وفي تغييب حق الطفولة الذي هو من أهم الحقوق لدى الأمم المتحدة.

يحلم محمد
بأن يذهب إلى
المدرسة بعد أن
كان في الصف
الرابع وغادرها
إثر نزوحه وأهله
عن سوريا قبل
ثلاث سنوات،
محمد الذي
يقف طويلاً
أمام المكتبات
ناظراً إلى
الأقلام والدفاتر
متحسراً،
كوقفته في
الشارع البارد



متحسراً، كوقفته في الشارع البارد لساعات طوال، يتمنى أن يعود إلى مدرسته في منطقة إعزاز في الشمال السوري ولو لساعة واحدة، ويردف وهو ينظر إليّ بألم « كنت شاطر كثير بالمدرسة لا تفكريني كنت كسلان» ويخفي دمة حزينة في عينيه الصغيرتين.

أما وعد وهي الفتاة الذكية التي لا تتجاوز العاشرة بعمر الورد، فتتجول بعد الواحدة ليلاً في المنطقة المذكورة بعد أن تم تسجيلها في المدرسة لكنها تعمل بالتسول في الليل.. وتقول بأنها مجبرة على ذلك من قبل والدها الذي لا يعمل مطلقاً ومتزوج من امرأة أخرى أنجبت له حديثاً طفلة، فهم أسرة واحدة تتألف من أحد عشر فرداً يعيشون في بدروم من غرفة واحدة لا ترى الشمس في منطقة تقسيم بإيجار ٧٠٠ ليرة تركية وعليها جمع المال من أجل ذلك.. إذ لا تستطيع العودة إلى منزلها قبل أن يكون بحوزتها مبلغ خمسون ليرة تركية يومياً عدداً ونقداً.

وضع آية لا يختلف أبداً عن وضع بقية الأطفال ذكوراً أم إناثاً، فالمعاناة ذاتها مع الحسرة على عدم الدراسة، فأية أكبر سناً وأنضج وتعي جيداً بأنها بدون مدرسة لن تتعلم وستبقى دون مستقبل، وتقول بأن زميلاتها لسن بأفضل منها وهي تحسدهن على المدرسة، وتعول مأساتها على والدتها التي تعلق على الموضوع بأنها امرأة من الغوطة بدمشق ودون معيل

إنه عبد الرحمن وشقيقه محمد، تجدهما كل يوم بعد الثانية عشرة ليلاً في منطقة الفاتح في الشارع الممتد من فندق زاده حتى أكسراي، وتبدأ الحكاية غالباً بجمع المال من بيع المحارم الورقية وبعض القطع من البسكويت لتنتهي فيما بعد بالتسول مع الأسف.



يحلم محمد بأن يذهب إلى المدرسة بعد أن كان في الصف الرابع وغادرها إثر نزوحه وأهله عن سوريا قبل ثلاث سنوات، محمد الذي يقف طويلاً أمام المكتبات ناظراً إلى الأقلام والدفاتر

صراع الرموز وضياع الإنسان

دلال عبد الله

إن تعبير كل شخص عن نفسه وطائفته في العقود السابقة كانت محاولات خجولة، تغيب في الجمع النهائي، وعملية طرح الأفراد أنفسهم من المجموع العام لم تكن واردة بسبب شمولية النظام واحتكاره اللعب بالعقد الاجتماعي، ولكن بما يسمح بتفجرها وقت الضرورة وحينما يتهدد بثورة اجتماعية أو بحركات احتجاجية، العقد الاجتماعي الذي ربط الجميع في حظيرة الإنسانية وإن كانت مشوهة بصورة لا تشي بالخطر الداهم.

لكن جاءت الثورة ورغم أنها حملت رؤية تتجاوز شكل الوعي القديم والمكرس من النظام، فإن جملة مشكلات اعترضتها بسبب سياسات المعارضة وبسبب همجية النظام ففجرت اختلافات الأفراد والأديان والانتماءات. ثم بعد ذلك باتت تظهر في رموز وأيقونات مفاجئة تحمل في مغزاها العداء وتدل على انتماء أصحابها، مثل الأعلام التي اتخذت لها أماكن

في القلائد والأساور من أنواع مختلفة والوشوم تحمل المعتقدات الدينية كسيف علي بن أبي طالب والنجمة ذات الألوان الخمسة أو التي تصور الموت القادم في شكل جمجمة أو مسدس وغيرها.

(البذلة العسكرية)

تخطت كل تلك الرموز وأصبحت رمزاً للقهَر والذل بدل أن تكون ضماناً للحماية، والسلسلة طويلة فيما خص هذه الرموز.

والجدير بالذكر أن طغيان هذه الرموز واستثارتها بالمكان والزمان الراهن ليس سوى نتيجة قمع لما عداها؛ فرموز الثورة وأيقوناتها معرضة إذا ما عبّر بها أصحابها عن أفكارهم وأوردوها موطن العلن إلى نتائج واضحة، فالسجن والتعذيب والتهجير كان من نصيب كل من امتلك الجرأة ليقول أنا هنا، ومن عجز عن ذلك لا زال يعيش سجنه الكبير ويتعرض كل يوم لرؤية الرموز المختلفة عنه والمضطهدة له أساساً.

السير في شوارع دمشق وحينما يعترضك حاجز - هذا الذي أصبح أيضاً رمزاً للتعب والانتظار بلا جدوى-

ستجد أغلبية الشباب يرتدي هذه البذلة! وقد تراها ماثلة في عيون الآخرين المقابلين لك، وتمضي بقية يومك تبتلع الغصة لعدم قدرتك على مجابعتها إما خوفاً أو طمعاً في ملاذ يقيق سطوتها وجبروتها. فمنذ قدوم حزب الله وتدخل إيران لمساعدة النظام على وأد الثورة في سورية انتشرت هذه الرموز واستطالت لها أقدام تمشي على الأرض وأيد تبطش بها، وتحيل الأرض خراباً باسم الدين ومن منطلق الممانعة الكاذبة.

كذلك الأعلام التي ما كانت ترفع إلا في المراسم والزيارات الرسمية أصبحت جنباً إلى جنب مع علم النظام موحية باتحاد هذه العصابة ضد الشعب لمن أجاد القراءة على عكس ما يطلقه أبواق النظام من مكافحة الإرهاب ليصدقه جزء من الشعب السوري. وغالب الأمر يحدث بين فئة الشباب الذين تستهويهم فكرة السلطة المطلقة والقدرة على التحكم بمقاليده الأمور ولو على سبيل السيطرة على مواقع صغيرة. أو يتضخم الأمر ليغدو إحساساً عاماً بهذه السيطرة ما

دام يحق لهم ما لا يحق لسواهم - من مناوئين للنظام خرجوا من تحت سقف الوطن بتهمة الخيانة أو الإرهاب - وباتوا وحدهم أصحاب الأمر يساعدهم في ذلك الفوضى التي يمكن أن يحدث خلالها أي شيء دون حساب.

هؤلاء الشباب الذين تتحمل مؤسسة التعليم

الجانب الأكبر في اختياراتهم الطائفية، فطريقة تداول مواضيع الدين وما ترتب عليها من تبعات جعلت معظمهم يحجم عن تقبل الآخر ولو سراً بينه وبين نفسه والتمهيد من جهة أخرى وبإيعاز من النظام الحاكم لجيل يقدم ولاءه للمؤسسة العسكرية. لذا والحال هذه لا يبدو مستغرباً لدرجة الدهشة مع وجود هذه العوامل ظهور نماذج تستهويها الرموز إن كان من باب التباهي أو اقتناع أكيد بأنهم الأفضل.

كثير من أصحاب الأيقونات يبالغون في تقديم صورة القوة والسطوة - فحمل السلاح والوشوم وملامح اللامبالاة بالآخر الأضعف، كلها تمنحهم التوازن الذاتي الذي يبحثون عنه- أو في تقديم هويتهم من خلال تلك الرموز مبرزين طائفتهم من علويين وشيعة

واختلافهم.

هذا الأمر الذي لا يتم طرحه بشكل جلي عند الأكثرية من السنة، فهم محصنون قليلاً تجاه هذا الأمر باعتبارهم النسبة الأكبر وليسوا بحاجة لتقديم أنفسهم.

على أن تضخم الأنا في الاتجاه المعاكس جعلهم يتحسسون مواطن التفرد لديهم وأكثر ما ظهر ذلك في الاستنكار الواضح لهدم المساجد والمآذن التي تشكل الرمز الديني الأهم لهم، كذلك العبث بكتابهم السماوي في أكثر من مناسبة.

فبات العداء واضح المعالم مما جعلهم يتمسكون أكثر بمعتقداتهم ويجلبون رموزها إلى السطح.

حيث تجاوزت اللحية المساجد لتصبح رمزاً لكل من رفع لواء الكفاح ضد الإرهاب الممارس من قبل النظام، وظهرت الفصائل الجهادية والإسلامية بسمات ورموز تفيد باتباع أصحابها الشريعة رداً على من خالفهم وغالى

البعض بتكفير الآخرين، وأنه وحده على صواب.

حتى أسماء الفصائل المسلحة من المعارضة كانت عبارة عن رموز لشخصيات إسلامية من صحابة وغيرهم.

هذه الردة إلى الدين وتسييسه ليست إلا نتيجة لمقدمات سابقة فالأزمة الاقتصادية في البلاد قبل الثورة جعلت النظام يلجأ إلى دفع الناس للناحية الدينية وشجع ذلك بطرق عدة لصرفهم عن الخوض في أسباب وتبعات تلك الأزمة، لكنه لم يحسب حساب أن تؤول الأمور لأبعد من ذلك كما هو اليوم، على الرغم من استفادته الكبيرة من هذه النتائج ليظهر كمن يحارب الإرهاب عندما وضع المعارضة وجبهة النصرة وداعش في نفس المرتبة.

كما لا يمكن والحديث عن الرموز - الدينية خاصة- إهمال الأقليات من مسيحيين ودروز الذين ذهبوا بدورهم في هذا الاتجاه للتعبير عن أنفسهم وسط هذه الفوضى.

منذ قدوم حزب الله وتدخل إيران لمساعدة النظام على وأد الثورة في سورية انتشرت هذه الرموز واستطالت لها أقدام تمشي على الأرض وأيد تبطش بها

المسيحيون وإن كان أكثرهم اتخذ جانب النظام لما يمثله الرمز الديني السني من ردة إلى زمن أهل الذمة وهذا ما حدث في أماكن كثيرة سيطرت عليها داعش مثلاً - وإن كان معظم الشعب السوري بما فيهم المعارضة المسلحة يرفض الاعتراف بها كممثل لرغباته- إلا أن نسبة لا بأس بها من المسيحيين رفضت كل أساليب النظام ورموزه بما فيها الرمز الأبرز (بشار الأسد)، وحملوا صليبهم وتحملوا كجزء من الشعب السوري تبعات ما حمله رمز النظام من ألم وخراب. على أن الدروز ذهبوا أبعد من ذلك حيث قادهم شعورهم بالتفرد والاختلاف إلى منع أولادهم في المشاركة بهذا القتال وفرض ذلك بالقوة، الأمر الذي خضع له النظام لاعتبارات كثيرة.

بالتالي حمت نجمتهم ذات الألوان الخمسة أبناءهم من خوض حرب لا يعتبرونها حربهم، على الرغم من انخراط كثير منهم في صفوف

المعارضة سواءً بشقها العسكري أو السياسي. هذه المنظومة من القيم التي تحكمت بسلوك الكثيرين، وحلّت العقد الاجتماعي وجعلت منه ذكرى غريبة تعتبر من أخطر ما يمكن أن يحدث في بلد من البلدان، واستمرارها لما بعد الحرب سيجعل من هذه الأرض ثقباً أسود يبتلع كل ما حولها وينشر الدمار، فهي إن كانت واردة في الحرب فخطرها في السلم أكبر.

ويبقى الرمز الأبرز والأيقونة الأهم وهي الإرهاب تلك التهمة التي يلصقها كل طرف بالآخر، والتي توالدت وتكاثرت في وقت قصير بشكل يدعو للقلق على مصير هذه البقعة من الأرض رافعة لواء القتل والذبح باسم الدين من جهة ولواء البراميل المتفجرة وتحالفات الدول وصواريخهم من جهة أخرى، محطمة بذلك الرمز الأضعف وهو (الإنسان السوري).

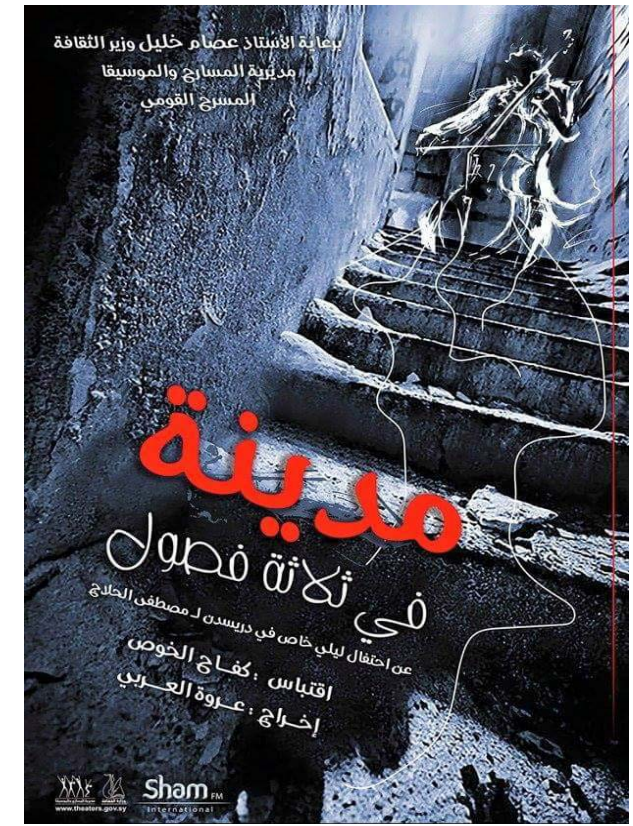


مسرحية "مدينة" في ثلاثة فصول

دعوة لوقوف الحرب في دمشق

بسام سفر

تحول الواقع السوري في الحياة الطبيعية، إلى واقع استثنائي بكل معنى الكلمة، فالحرب الدائرة على الأرض السورية بين المعارضة المسلحة بكافة ألوانها وصنوفها والنظام وداعميه، أصبحت جزءاً من الحياة السورية اليومية، ما فرض على المسرح السوري تناول الواقع الجديد، ويظهر ذلك في العمل المسرحي "مدينة" في ثلاث فصول عن احتفال ليلى خاص في دريسدن لمصطفى الحلاج، اقتبسها الممثل كفاح الخوص وأخرجها عروة العربي .



ويقدم الفعل المسرحي على منصة مسرح الحمراء بدمشق كحركة مناوئة للحرب من خلال رفض بعض الشخصيات الموجودة في <<البار>> القبو، القصف الذي يتعرض له البار، والقصف المضاد الذي يحاول الجيش أن يفعله ويظهر على المنصة من خلال شخصيتي <<الجنرال، ومستشاره>> المتحدث باسم الجيش.

الصراع المسرحي : يتمحور الصراع الداخلي في المسرحية على أكثر من مستوى حياتي: الأول في الحصار الذي يحصل نتيجة تهمد مداخل البار، وتصبح عملية الخروج من الحصار تدفع الشخصيات حياتها نتيجة ذلك، وهذا حصل مع <<العاهرة، مي سليم>> التي عبر لها، كفاح الخوص، غربش، عن حبه لها بدون أن يقدم المال لها بسبب فقره، فتمنحه قبلة يمكن تسميتها قبلة الوداع قبل الموت، وهذا يحصل مع عدد من الشخصيات عندما تحاول الخروج من البار.

المستوى الثاني : من الصراع الحياتي حول ما تبقى من المواد القابلة للأكل والشرب مثل <<الحساء، الدخان، الماء، البيرة>> وهذا يتوضح عندما يبقى مع غربتش سيكارة واحدة يضحي بها إلى <<الجنرال، يوسف مقبل>>، وعندما يجد "كارل، طارق عبود"، برميل البيرة ويخوض صراع مع صاحب البار، محمد خير جراح حوله ويستولي عليه كارل.

المستوى الثالث : من الصراع يتجسد في محاولات البحث عن النفق الذي تظهر فتحة منه،

ويخبيء صاحب البار فلوله فيها، وتأتي محاولة محمود الخليلي فريدرك، والد <<كرستينا، راما عيسى>>، ومعه بعض الشباب ومنهم كارل للخروج نتيجة عكسية، حيث يعود الجميع بحالة انهك وتعب شديد بسبب المحاولة الفاشلة، وعدم سماع كلمات الجراح أنه لا مخرج.

ويتجلى مستوى جديد من الصراع السياسي، العسكري، والإنساني . حيث يقف <<الجنرال يوسف المقبل، ومستشاره>> داعمين لموقف الجيش، بينما نجد الشاب <<كارل، هريتش، أرنولد>> والصبايا <<اميل حبيبة كارل (ربا الحلبي)، المغتصبه كرسيتينا>> ضد هذا الموقف، ويتهمهم <<المستشار الشبيح، مؤيد روميه>> مسوقي الهزيمة ويطالب بحاسبتهم لأنهم يؤكدون أن الجيش لا يفعل شيئاً سوى تسويق القتل والدمار، أما المستوى الحقوقي في هذا الصراع نجده عندما توجه كرسيتينا اتهام الاختطاف والاغتصاب إلى <<أرنولد، سامر الجندي>>، ويدافع عن ذاته بأنه لم يفعل لها شيئاً، وأنه لا يعرفها، ويقف والدها ضد الاتهام محاولاً لملمة فضيحة دون دليل واضح، وتكتشف كرسيتينا أن الشبيح هو من قام بهذا الفعل في مسار العرض المسرحي، عندها يأخذ الجنرال المسدس ويوجهه إليه، ويطلب منه أن يخلع زي الجيش <<البدلة العسكرية>>، ويعترف أنه من قام بفعل الاغتصاب والاختطاف من أجل المال، مما يدفع الجنرال إلى قتله بالرصاص، لحظتها يطلب من هريتش سيكارتته الأخيرة، ويضحي بها، لكي يدخنها الجنرال، وبعد أن ينتهي من تدخينها يقوم بالانتحار بذات المسدس الذي قتل الشبيح به، ويتخذ بذلك العرض المسرحي مساراً جديداً بعيداً عن الدفاع عن اجراءات الجيش والحرب والقتل والدمار والانحياز إلى الجيل الجديد في المدينة من <<صبايا وشباب>>. في البحث عن سلوك آخر.

ويكشف العرض عن صراع جديد بين <<كرستينا>> ووالدها الذي يبحث عن مسار جديد للخروج من البار بمساعدة صاحب البار في محاولة لايجاد مخرج يدفع حياته ثمّنه، إذ تكشف أن والدها من تجار السلاح والداعمين للحرب حسبما كتب لها خطيبها في رسالة خاصة. وهذا يوضح انحياز العرض إلى الحياة وضد الموت والقتل والدمار، وموته إلى جانب من مات في العرض، حيث يقتل فيه كل الرموز المنحازة للحرب، وتبقى رموز الحياة في العرض المسرحي من خلال ما تقدم من صراع في المسرحية أن المعنى الواضح في الفعل المسرحي انحاز انحيازاً كاملاً ضد

دور الجيش والمؤسسة العسكرية بشقها الرسمي، وشقها التشبيحي، وذلك على عكس ما يريده المقتبس والمخرج، فعملية <<قتل وانتحار>> رموز المؤسسة العسكرية، وتهريب السلاح من خلال موت والد <<كرستينا، محمود الخليلي>>، وفساد القاع التحتي المجتمعي من خلال مقتل <<محمد خير جراح>> صاحب البار.

فضاء العرض المسرحي: ان دلالات الفضاء المسرحي الدرامي تشير إلى فعل مديني قاعي من خلال استخدام البار كمكان للعرض المسرحي، وذلك من خلال تقديم أكثر الفئات الاجتماعية بحثاً عن المتعوية في الحياة من الزاوية الغريزية، ويأتي الفعل المسرحي على اللسان الممدود من مدخل البار إلى نهايته حيث ألغى المخرج المقاعد الموجودة في الصفوف الأولى في صالة الحمراء. وهذا ما يعطي الفعل المسرحي بعداً إنسانياً بعدم الهبوط بمكان الأداء إلى نفق من انفاقه حيث يلعب هذا اللسان دوراً في اعطاء صورة واضحة عن مدى الحالة المزرية التي وصلت إليها القضية السورية من زاوية الشكل، فالعمق الطويل للسان يضع حالة الخطاب دون الفعل كما هو الوضع في القضية السورية، ويضاف إلى ذلك استخدام النساء الفتيات العاملات في البار، عبر الوجهين المتعوي والخطابي كلغة مسرح، وعدم

استخدام هذا الفضاء من زاوية الفعل المسرحي الا على اللسان مع حالة الدمار والقصف والموت الذي تعيشه المدينة، وعند محاولات الخروج من البار عبر النفق أو من البوابة التي تهدم مدخلها، واغلقت تماماً بعد موت <<العاهرة>>، ويضيق الفضاء بالمعنى المكاني، ويضيق على الشخصيات بمعنى الحضور، فمن فضاء يتسع لجميع الشخصيات بما فيها رموز مؤسستي الجيش والشبيحة، وتاجر السلاح، وصاحب البار إلى فضاء يتسع إلى الشخصيات الشبابية التي تنتمي إلى المستقبل الذي سيصنع فضاء المدينة المستقبلي، من خلال وجود المهندس إلى جانبهم القادر على رسم وتخطيط الشكل العمراني للمدينة، والشكل النفسي والفضاء السنيوغرافي للمدينة ذاتها وشخصيتها.

الأداء والتمثيل والإخراج: استطاع المخرج عروة العربي رسم حركة ممثليه في العرض من خلال حصره على اللسان الطويل، ويقسم الأداء إلى عدة مستويات، افقي مقدمة اللسان يستخدمه المخرج للحزن الشفيف الغاضب، وللبوح خصباً لدى كرسيتينا من حالة الاغتصاب والتعبير عن علاقتها بأبيها، والقبلة التي تمنحها فتاة الليل <<العاهرة>> إلى هريتش يكون موقعها في المقدمة، وكذلك خروج الأربعة في نهاية العرض من ذات الموقع، إذاً يمكننا القول أن هذا الموقع هو مفتاح الحياة الإنسانية في الأداء التمثيلي في



قبول هريتش لطول العقل على اللسان، والضحك على الموت، وعن سكارى، واستمرار السخرية من الجيش. لكن الملاحظة الاساس على الأداء السردية بمعنى القول بدون فعل مسرحي حيث يظهر، وكأنه سرد نصي، وهذا يوضح لماذا الصراخ في السرد هو المتحكم <<بالطون>> الصوتي للممثلين خصباً الشباب منهم بينما نجد أن الكثير من الهدوء ومحاولة اعطاء الفعل مكانه لدى يوسف المقبل، محمود خليلي، محمد خير جراح. ويتخذ أداء أرنولد شكل الصراخ الهستيري في محاولاته للخروج من <<البار، القبو>>، خارجاً من السردية إلى حالة الجنون السردية وانفلات الأداء بعشوائية في عمق منصة الحمراء فوق المطبخ الذي يفتح على الباب الذي دمره القصف. وعلى الرغم من محاولات ضبط ايقاع الأداء من المخرج إلا أن استجابة الجمهور لبعض الكلمات <<الافيهات>> من الممثلين، تجد سلبيتها إلى ضحكات الجمهور مثل ما جاء به كارل مخاطباً هريتش، "ما حدث هناك انتهى، أتريد الذهاب إلى المسبح"، إن الأداء غير المتسق مع الطابع التراجيدي للشخصيات يفعل فعله لدى الجمهور من مدخل الكوميديا السوداء التي تعيشها الشخصيات الفاعلة على منصة مسرح الحمراء بدمشق.

لعبت الإضاءة والموسيقا دوراً كبيراً في إيصال الحالات الدرامية المسرحية إلى حالتها، خصباً في لحظات قطع الكهرباء، واستمرار الإضاءة المسرحية من خلال الفانوس أو الشموع. أخيراً أن العمل الفني المسرحي كثيراً ما يكون حمال أوجه في القراءة الفنية والنقدية، ومن حيث النتيجة النهائية للوصول إلى المتلقي المسرحي الدمشقي. العرض يدعو إلى وقف الحرب واستمرار الحياة، والانتهاه من جيل صناعي الحرب على مستوى المؤسسات الرسمية وحتى تجار الحروب ممثلين بتجار السلاح. فكل التحية للعاملين فيه في قدرتهم على إيصال هذه الرسالة المسرحية الانسانية الثقافية من منصة مسرح الحمراء في دمشق.

الفعل المسرحي
انحاز انحيازاً كاملاً
ضد دور الجيش
والمؤسسة
العسكرية بشقها
الرسمي، وشقها
التشبيحي

رذار العطر

فاضل السباعي

أُكِّد لي «الدكتور مروان»، عبر الهاتف، أن أكون، في الساعة الواحدة وخمس دقائق، عند «إشارة المرور» في «ساحة الجسر الأبيض»، على الرصيف أمام بَيْاع العسل! فسألته مستفهماً: «بَيْاع عسل هنا؟»، فقال: «حارتك ولا تعرف أنه أصبح فيها بَيْاع عسل!». ولحظة وصلت إلى الرصيف، وبينما أنا أتلفت تبحث عيناى عن هذا العَسال الذي لم أفطن إلى وجوده قرب بيتي، ترامى إلى سمعي صوت الصديق الجديد، الدقيق في تحديده للمكان والزمان: «نحن هنا!»، مهيباً بي أن أسرع في الدخول إلى سيارته، فالإشارة توشك أن تفتح.

كُنّا... كانوا ستة، أعدّد لكم أسماءهم: «مروان» و«منصور» و«ناصر» و«نصرت» و«نصر الدين»... أجل هذه أسماؤهم بالمصادفة، وسادسهم صديقي «عادل شمس»، جمعتهم أيام الطفولة الجميلة، والجامعة، وأرادوا لها الاستمرار. وهم - وإن كانوا يتقدموني في السنّ - يصغرونني بعقد واحد من السنين. ولأبنيّ لكم أنّ صديقي عادل - الذي كان قد أشفق عليّ من العودة إلى الوطن في حكاية يطول شرحها - شاء أن يجعلني السابع بين أصدقائه الحميمين، لدى تحلقهم الأسبوعي حول مائدة الغداء، في بيت الدكتور مروان،

بتلك الضاحية التي أمست في حكم البعيدة عن العاصمة بسبب ما حاق بنا من المخاطر في هذا الزمن، فهجرتها وأسرتها إلى بيت الأهل في الجادة الأولى بحيّ «المهاجرين». ومروان - ولنحتفظ بالألقاب وهم ما بين طبيب ومهندس ورجل أعمال - جرى على أن يمرّ، في يوم الولاية في ساعة محدّدة بالدقائق والثواني، بكلّ واحد من الأصدقاء، يجمعهم في سيارته الصغيرة لكن القوية، تتسع لأربعة ولكنهم ينحشرون فيها ستة، متلاصقين متلازّين، في طريقٍ كان يستغرق اجتيازه قبل هذه الأيام عشرين دقيقة أصبحت خمسين أو ستين، أسمعهم الآن يتشاورون في اختيار الطريق الذي تكون فيه «الحواجز» أقلّ عدداً. وأما صديقهم الأخير نصر الدين فهو ما زال ثابت الجنان في الضاحية مقيماً. توقّفت بنا السيارة في سوق البلدة القديم. نزل اثنان، المكلفان هذا الأسبوع، يتسوّقان ما تستكمل به الولاية أحوالها: سطلّ لبن، ربطة خبز، وماء فراتا، ورأيت واحداً ممّن بقوا في السيارة يطلب: «وهاتوا عنب زيني قبل نهاية موسمه!... لا، ولم تفتّهم عبوة من فحم... فعرّفت أننا مقبلون على «شواء»، وأنّ ما سوف يوضع على النار بعد قليل يقبع الآن في مستودع السيارة الخلفي، مقطّعاً ومتّبلاً. وكُنّا، عند كلّ حاجز، يعرض الدكتور مروان بطاقة النقابة ليؤكد لهم أنه طبيب، ويطأطئ الجندي رأسه، منقلاً بصره بيننا، فيرى التغطّيات

في الوجوه قبل أن يلمح وقار الشيب يجلل الهامات. لدى وصولنا، وجدت باباً كبيراً من حديد بلون أبيض، يطلّ على رصيف عريض، اجتزناه، ودخلنا حديقة يُرقى إليها بدرجات. وكانت الأبواب والنوافذ مصونة بحديد مقضب أثقاء عبث عابثين. دخلنا البيت ببعض ما جئنا به، وبعضه الآخر نُقل إلى ركن في الحديقة، حيث دُلِق الفحم في منقل وأوقدت فيه النار. فكان الإعداد في الداخل والشّي في الخارج. ورأيت صديقي عادل يقف أمام المنقل العالي يصفّ الأجنحة والصدور صفّاً صفّاً، ويكشّ النار بهروحة، والروائح تعبق، والأنسام - التي بدت باردة شيئاً ما - تصافح وجوهنا وكأنها تبشّرنا بمطر آت على الطريق! ثمّ فُتحت الطاولة، والكراسي حُمِلت من الداخل. عَرَضْتُ في المطبخ أن أفرم السلطة، فلي إلمام في ذلك. ولكنهم اعترضوا: «أنت اليوم رئيس السنّ»، ضيفنا الآن وغدا تنزل إلى الساح!»، رُوبّ اللبن، مع ملح وثوم ونعنع يابس مفروك. وجيء بالكؤوس، وبالعدّل ملئت، فالكّل مع الجوع المستثار ظامئٍ صاٍ. في ابتداء الأكل طُرحت التساؤلات: مَنْ يريد الأفخاذ؟ من يحبّ الصدور؟ وتحوّلت المفردتان إلى معانٍ، يزداد طرب الرجال لها ويخفّ عند النساء... وهات يا ضحك! وأخذوا يتحدثون... أحدهم قال: «طيارة (....) ألقت حملتها اليوم على سوق شعبية في (....) فقتلت.....»، اعترض آخر: «من شأن الله اتركونا من حديث السياسة... خلّونا نعرف ناكل، بلا حزن، بلا دموع!». بعد أن رُفعت المائدة، ودارت كؤوس

الشاي المخمر، طلبوا من «رئيس السنّ» أن يتحدّث في الأدب، فسألهم مازحاً: «تحبّون الواقعي» أم «الفانتازيا؟»، ولمّا لم يستوعبوا المقصود، خيروه. فرويت لهم كيف أنّ مثقفاً طيّباً قرّعوا بابه سويعة الفجر وأخذوه، وتحت التعذيب مؤتوه، فصعدت روحه لتعود إليهم شبحاً، يضربهم ويفعل بهم الأفاعيل، وهم يتلقّون ولا يعرفون من أين... ثمّ إنّ الأشباح تلاقوا، فتنظّموا، وتوزّعوا العمل! وقلت: «فهذه فانتازيا، تحلّق في الخيال!». قالوا: «حلو! ولكنّا لا نراها خيالاً!»، وفطنوا إلى أنّ «رئيس السنّ» الذي استضافوه، قد تسلّل إلى النفوس بالسياسة في وجهها الأدبيّ وهم لا يدرون. ابتعد عنا الدكتور مروان، يوقد ناراً، لم تكن هذه المرة من فحم، لكن من أعشاب. نفذت إلينا رائحة الدخان، فبدت لي، لنا، زكية، وكان مروان يأتي بالطريّ من أعشاب الحديقة وبها يتابع تلقيم النار، فما وجدنا أنفسنا إلا وكلا يحمل كرسيّه مقترّباً منها، وقد استسغنا الدفء فالجوّ ابترد، كما استحسنّا طيب الرائحة. وسجى الليل وعمّ الظلام. هنا لمحنا شهباً، أو ما يُشبه الشهب، تسري في السماء، نراها قبل أن تتلقّى أسماعنا صوت انفجارها، تمرّ من فوق رؤوسنا، فنقول: نزلت في ذلك الموقع أو ذاك! وفجأة أحسّنا برذاذ من مطر، سرعان ما تحوّل إلى وابل... فحملنا كراسينا إلى الداخل، وتهيّا للرحيل. وعلى رصيف بائع العسل، في ساحة الجسر الأبيض، ودّعني الدكتور مروان، على أن نلتقي، في هذا المكان، وفي مثل تلك الدقائق المحددة، في الأسبوع القادم.



جدتي.. والأقصى.. وخروف العيد

سما حسن

لم تنم جدتي كل الليالي التي تلت عودتها من الديار الحجازية بعد تأديتها فريضة الحج، وكانت تطلق على السعودية اسم الحجاز، وقد هجر النوم عينيها لأنها كانت تريد «تقديس حجتها» ولكن صحتها خذلتها بعد أن عادت منهكة من سفرها عن طريق البر من غزة مروراً إلى الأردن ووصولاً إلى الأراضي المقدسة. ظل المسجد الأقصى هو القبلة الأولى لجدتي والحديث هذا حتى العام ١٩٨٠ حتى صعدت روحها إلى بارئها وهي تعتقد أن حجتها ناقصة ولم يرفع أجرها وثوابها لأنها لم تقم بزيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه مثلما كان متبعاً حتى بداية انتفاضة الحجارة حيث كانت تنظم رحلات جماعية بالباصات التي تنطلق من ميدان «الساحة» في غزة محملة بالحجاج الذين يرتدون الملابس البيضاء في طريقهم إلى القدس للصلاة فيه وبذلك يشعرون بالاطمئنان إلى أن حجة الواحد فيهم قد قبلت بل ينحدر كل واحد خروفاً غير الخروف الذي نحره فوق جبل عرفات ويوم دأيا الأقارب والأحبة بعد انتهائه من طقس «تقديس

حجته» وعودته محملاً بالكعب المقدسي والأساور والخلاخيل التي يبتاعها من سوق باب العمود ولا يوزع الهدايا التي ابتاعها من مكة إلا حين يضم إليها هدايا الأقصى.. وقد استغلت إسرائيل انقراض هذه العادة لكي تعتمد على تثبيت وجودها في القدس عامة عبر طقس ديني زمني حيث دعت المنظمات اليهودية المتطرفة التي تطلق على نفسها «منظمات الهيكل» أنصارها للمجيء إلى ما أسمته «جبل الهيكل» أي باحات الأقصى صباح الأحد ٩/١٣ للاحتفال برأس السنة العبرية، ولكن السبب الحقيقي هو التمهيد للتقسيم الزمني للأقصى بحيث يخص اليهود أوقاتاً معينة لكي يؤدوا صلاتهم اليومية ما بين الساعة والحادية عشرة صباحاً، وبنجاح هذا المخطط سيتم تقسيم باحة الأقصى كما تم تقسيم الحرم الإبراهيمي في الخليل وحجة اليهود في ذلك أن اسم أورشليم لم يذكر ولا مرة في القرآن الكريم كمدينة مقدسة للمسلمين والمسيحيين ولكنها ذكرت في كتاب التناخ مئات المرات ولكي تؤكد إسرائيل أن من حقها تنظيم حق العبادة في الأقصى..

إذا كانت جدتي قد نامت نومتها الأخيرة والطويلة بعد أن جافها النوم لسنوات لأنها لم تحقق حلمها بالصلاة ربما للمرة الأخيرة في الأقصى فإن جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل قد ماتت وهي قريبة العين بعد أن جافها النوم ليلة واحدة خوفاً من أن يدخل العرب أفواجا دفاعاً وانتصاراً للأقصى بعد حريق المسجد الأقصى ولكنها اكتشفت بعد ليلة عمرها الوحيدة والعصية أن العرب أمه نائمة وقالت أيضاً سنتوصل إلى سلام مع العرب حين يحبون أطفالهم كما يكرهوننا وهذا ما يحدث فعلاً لأن أطفال العرب يقتلون بشتى أدوات القتل وبأيدي عربية وتآمر معلن وخفي ونحن لا نفعل أكثر من الشجب والاستنكار والادانة وتجديد كراهيتنا لإسرائيل وأمريكا وليس ذلك إلا تعبيراً عن إشهار إفلاسنا وعجزنا عن الحراك الفعلي لنصرة ديننا وأبناء عربتنا إحدى المقدسيات المربطات في الأقصى قالت: إذا كنا نحن كمسلمين لا نصلي عند حائط المبكى فلماذا يجب أن يصلوا هم في المسجد الأقصى، والسؤال

الأهم ولماذا لا يحج مسلمون من الدول العربية التي أقامت تطبيقاً مع إسرائيل حجا زمانياً إلى المسجد الأقصى لاثبات الوجود العربي والإسلامي في المدينة التي تحرق تحت سمع وبصر العالم وهذا ان حدث فهو أضعف الإيمان من المطلوب من الحراك العربي والإسلامي نحو القدس.

ولكن الحقيقة المريرة أن العالم الإسلامي الذي هلك وكبر وهناً بعضهم بعضاً بالشهادة التي نالها ضحايا سقوط رافعة في الحرم المكي وأطلقوا على موتهم «الموت المقدس» فإن الأمر نفسه يطلق على الضحايا الذين يتساقطون وهم عزل دفاعاً عن المسجد الأقصى ليبقى السؤال هل نحن أمه تعشق الموت وتخاف الحياة؟ وهل هذه الهجمة السريعة والشرسة هذه الأيام على المسجد الأقصى والمسلمون يصومون العشر الأوائل من ذي الحجة تستحق رداً واحداً وهو اعتبار ضحايا معركة الأقصى وضحايا سقوط الرافعة خراف عيد الأضحى الحقيقيين؟

استغلت إسرائيل انقراض هذه العادة لكي تعتمد على تثبيت وجودها في القدس عامة عبر طقس ديني زمني حيث دعت المنظمات اليهودية المتطرفة التي تطلق على نفسها «منظمات الهيكل»

هابيل.. السوري

فرات نجيب

أخيراً.. جاءني سيدنا عزرائيل.. قال:

- دَعْ عَنْكَ.. دُنْيَاكَ؛ وَ هَيَّاْ مَعِيَ إِلَى.. دِينُونِيكَ.

أَخْرَجَ رُوحِي مَنِّي؛ فَرَأَيْتُ مَا جَرَى لَجَسَدِي مِنْ دَعَاكَ وَ تَغْسِيلٍ وَ تَكْفِينٍ.

بَقِيتُ إِهْلِيلِجاً مِّنَ الضَّوِّ قَرِبَ جَسَدِي حَتَّى دَفَنُوهُ؛ ثُمَّ جَاءَنِي الْمَلَكَانُ أَنْكَرَ وَ نَكِيرَ.

سَأَلَنِي أَنْكَرَ:

- مَا اسْمُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟

- هَابِيلُ السُّورِيِّ.. مَنْ نَسَلَ هَاجِرَ وَ إِبْرَاهِيمَ.

- وَاسْمُ أَخِيكَ؟

- إِسْمَاعِيلُ.

- وَاسْمُ اخْتِكَ؟

- مَرْيَمُ.

- وَاسْمُ خَالِكَ؟

- يُوحَنَّا الْمُعْمَدَانُ.

وَ اسْمُ عَمِّكَ:

- أَرَامُ بْنُ سَامَ بْنِ نُوحَ.

ثُمَّ سَأَلَنِي.. نَكِيرَ:

- وَ مَنْ إِلَهُكَ ؟!

- اللَّهُ.. تَعَالَى اسْمُهُ عَنْ كُلِّ اسْمٍ.

- وَاسْمُ نَبِيِّكَ الَّذِي تَقْتَدِي بِهِ ؟

- مُحَمَّدٌ « ص » وَ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ.

فَأَغْلَقَا دِفَاتِرَهُمَا الْإِلِكْتُرُونِيَّةَ.. قُلْتُ لَهُمَا:

- يَحْسَبُكُمَا النَّاسُ.. مُحَقِّقَيْنِ فِي أَحَدِ فُرُوعِ الْمَخَابِرَاتِ.

فَابْتَسَمَا لِي بِتَهْذِيبٍ شَدِيدٍ؛ ثُمَّ خَطَفَا رُوحِي عَنْ جَسَدِي؛ فَاطْلَقَاهَا فِي الْهَوَاءِ.. مُلَوَّحَيْنِ لِي بِجَنَاحَيْهِمَا الْبَيْضِ.

الآنَ عَرَفْتُ.. مَعْنَى « قَانُونُ انْعِدَامِ الْجَاذِبِيَّةِ » حَتَّى أَنْ رُوحِي رَفَرَفَتْ كَرِيشَةٍ عَصْفُورٍ صَغِيرٍ؛ ثُمَّ تَجَاوَزَتْ طَبَقَةَ الْأَوَزُونِ.. مِنْ ثُقْبِهَا فَوْقَ الْقُطْبِ الْمُتَجَمِّدِ الْجَنُوبِيِّ؛ وَرَاحَتْ تَصَاعَدُ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ؛ حَتَّى عَبَرَتْ مَجْرَتِنَا؛ ثُمَّ اجْتَازَتْ كَالْمِسْبَارِ الْفَضَائِيِّ.. دَرَبَ التَّبَانَةِ؛ وَ هَكَذَا.. حَتَّى حُدُودِ الْكُونِ.

فَجَاءَتْ.. وَجَدْتُ رُوحِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ؛ فِي قَاعَةِ كِبْرَى.. مَلِئَةً بِالْأَرْوَاحِ؛ وَ مِنْ حَوْلِي.. تَرْفَرُفُ أَرْوَاحٍ مِنْ مَاتُوا قَبْلِي: بَعْضُهَا.. كَخَفَافِيشِ اللَّيْلِ؛ وَبَعْضُهَا.. كَفَرَاشَاتِ الرِّبِيِّعِ.

ثُمَّ سَمِعْتُ اسْمِي يَتَرَدَّدُ كَالصَّدى مِنْ قُبَّةِ الْقَاعَةِ؛ وَ انْفَتَحَ لِرُوحِي بَابٌ.. فَعَبَرْتُ؛ فَإِذَا بِهَا قِبَالَةَ مَرَاةِ أَعْمَالِهَا؛ وَ بَقَرِيهَا.. مِيزَانٌ مِنَ الْبَلَاتِينِ؛ فَلَمَّا تَسَاوَتْ كَقِفَّةِ سَيْثَاتِي مَعَ كَقِفَّةِ حَسَنَاتِي.. وَجَدْتُ رُوحِي تَهِيمَ عَلَى وَجْهِهَا.. فِي بَرَزْخٍ مَا بَيْنَ بَابِ الْجَنَّةِ وَ سِرْدَابِ الْجَحِيمِ.

مَضَى دَهْرٌ.. حَتَّى رَأَيْتُ سَيِّدَنَا رِضْوَانَ بِحَالِ رُوحِي؛ فَقَالَ:

- أَمَامَكَ اخْتِبَارٌ أَخِيرٌ؛ لِتَعْبُرَ بِرُوحِكَ.. إِلَى جَهَنَّمَ؛ أَوْ..

إِلَى النَّعِيمِ.

فَإِذَا بِرُوحِي.. فِي سَاحَةِ كُبْرَى؛ وَ النَّاسُ فِي اِزْدِحَامٍ

أَجْسَادِهِمْ.. مُتَحَلِّقِينَ حَوْلَ جَنَّةٍ فِي وَسْطِ السَّاحَةِ؛ بِكَامِلِ أَنْاقَتِهَا؛ ظَهْرُهَا لِلنَّاسِ.. وَبَطْنُهَا لِلْأَرْضِ؛ وَلَا يَظْهَرُ مِنْ وَجْهِ صَاحِبِهَا.. شَيْءٌ.

عَلَّقْتُ شَابَّةً.. بِقُرْبِي: - يَا حَرَامُ.. لِسَاهِ شَبَّ صَغِيرَ.

وَ رَدَّ عَجُوزٌ: - تَأَخَّرْتُ سَيَارَةَ الْإِسْعَافِ سَاعَتَيْنِ حَتَّى الْآنَ.

عَلَّقْتُ امْرَأَةً مَعَ طِفْلِهَا: - غَرِيبُ.. حَتَّى الشَّرْطَةِ لَمْ تَحْضُرْ لِنُعَايِنِ الْجَنَّةِ.

وَلَمْ أَرْ أَثَرًا.. لَخَنَجَرٍ فِي خَاصِرَتِهِ؛ أَوْ.. لَطَلْقَةٍ فِي رَأْسِهِ؛ وَ لَيْسَ عَلَى ثِيَابِهِ.. دَمٌ؛ حَتَّى أَنْ حِذَاءَهُ يَلْمَعُ تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ.. لَا غُبَارَ عَلَيْهِ.

وَ تَسَاءَلَ شَابٌ قُرْبِي: - هَلْ هُوَ.. الْقَاتِلُ؛ أَمْ أَنَّهُ.. الْقَتِيلُ ؟!

هَزَّ النَّاسُ الَّذِينَ سَمِعُوهُ رُؤُوسَهُمْ.. كَأَنَّمَا يُجِيبُونَهُ: - وَ كَيْفَ لَنَا أَنْ نَعْرِفَ ؟!

فَتَحَمَّسَ الشَّابُّ قَافِزاً مِنْ دَائِرَةِ النَّاسِ؛ مُقْتَرِباً مِنَ الْجَنَّةِ.. ثُمَّ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

- هَلْ تَرْغَبُونَ مَعْرِفَةَ هُوِيَّتِهِ؟!

صَاحَ النَّاسُ بِلَهْفَةٍ: - نَعَمْ.

ثُمَّ اقْتَرَحَ أَحَدٌ: - اِقْلُبُوهُ.. لِنَرَى وَجْهَهُ.

تَعَاوَنَ بَضْعَةُ شُبَّانٍ.. فَقَلَبُوا الْجَنَّةَ عَلَى ظَهْرِهَا؛ ثُمَّ صَاحَ أَحَدٌ.. بِلَكْنَةِ عَرَبِيَّةٍ:

- هَذَا.. بِشَارِ حَافِظِ الْأَسَدِ.

تَجَمَّدَ الْمَشْهَدُ.. تَجَمَّدَتِ الصُّورَةُ؛ ثُمَّ اخْتَفَى الْحَشْدُ مِنْهَا؛

ثُمَّ السَّاحَةُ وَ الْأَبْنِيَّةُ مِنْ حَوْلِهَا.

لَمْ يَبْقَ سِوَى الْجَنَّةِ فَوْقَ خَشْبَةِ تَابُوتِهَا؛ حَتَّى رَأَيْتُ رُوحِي

ذَاهِلَةً؛ وَ سَيِّدَنَا رِضْوَانَ.. يَقُولُ:

- هُنَاكَ سُؤَالٌ لَكَ؛ وَ إِجَابَتُكَ عَلَيْهِ.. سَتَنْقَلُ صَاحِبَكِ إِلَى النَّارِ؛ أَوْ.. إِلَى الْجَنَّةِ.

بَلَعَتْ رُوحِي رِيْقَهَا.. فَأَرْدَقَ سَيِّدَنَا رِضْوَانُ:

- هَلْ تَعْفُو.. عَنْهُ ؟!

- وَمَنْ أَنَا.. لِأَعْفُو؛ أَوْ.. لِأَدِين ؟!!

قَالَ سَيِّدَنَا رِضْوَانُ: - أَنْتَ.. أَحَدُ قَتْلَاهُ.

عِنْدَهَا.. أَفَقْتُ مِنْ مَنَامِي؛ عَلَى صَوْتِ انفِجَارٍ شَدِيدٍ؛ اهْتَزَّتْ لَهُ جِدَارَانُ الْبَيْتِ؛ ثُمَّ اخْتَرَقَ غُرْفَةَ نَوْمِي.. صَارُوخُ رُوسِي ١ أَسْدِي؛ فَأَطَاحَ بِي؛ تَنَاطَرَ جَسَدِي.. قِطْعاً مِنَ اللَّحْمِ الْمُدْمَى؛ شَهَقَتْ رُوحِي مِنْ صَرَخَةِ جَسَدِي الْآخِرَةِ؛ فَإِذَا بِهَا.. أَمَامَ سَيِّدَنَا رِضْوَانَ مِنْ جَدِيدٍ؛ وَ هِيَ تَصْرُخُ مِنْ هَوْلِ مَوْتِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ:

- لَنْ أَعْفُو عَنْهُ؛ حَتَّى لَوْ ذَهَبْتُ أَنَا وَ جَسَدِي.. إِلَى جَهَنَّمَ.

لَمْ يَنْبَسِ سَيِّدُنَا رِضْوَانُ.. بِشَيْءٍ؛ تَتَحَنَّنَتْ رُوحِي.. ثُمَّ سَأَلَتْهُ:

- مَاذَا قَالَ قَبْلِي.. جَدِّي هَابِيلُ ؟!

قَالَ سَيِّدَنَا رِضْوَانُ:

- وَ لِمَاذَا تَظُنُّ أَنَّكَ مِنْ نَسْلِ هَابِيلَ؛ أَلَسْتَ تَعْرِفُ بِأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكِ الزَّوْاجَ؛ وَ اِنْمَحَتْ سَلَالَتُهُ كُلُّهَا.. حِينَ قُتِلَ؛ وَأَنْكُمُ؛ جَمِيعُكُمْ: مَعْشَرُ الْبَشَرِ.. مِنْ نَسْلِ قَاتِلِهِ؛ قَابِيلُ ؟!

فَارْتَعَدَتْ رُوحِي.. صَارِخَةً:

- فَمَاذَا قَالَ هَابِيلُ قَبْلَ شَهَقَةِ مَوْتِهِ.. لِقَابِيلِ ؟!

- سَتَظَلُّ سَلَالَتُكَ.. يَا أَخِي؛ تَشْرَبُ دِمَاءَ إِخْوَتِهَا.. إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

إعداد
باسل الحمصي

ساطع الحصري والهوية العربية

العدد ٢٦
كانون الثاني - يناير ٢٠١٥

سنة ١٤٣٦
١٤٣٦

ولد مصطفى ساطع الحصري في العام ١٨٨٠ لأسرة حلبية مرموقة تقطن حي «بانقوسا» بحلب، وهو الابن الثالث لمحمد هلال الحصري، الذي ينتمي إلى أسرة عريقة في عروبتها، كريمة في محتدها، انتقلت إلى حلب على يد الشريف أحمد بن إدريس الحسيني، الذي قدم إلى حلب من الحجاز في القرن التاسع الهجري ١٤٧٢م.

كان والده محمد هلال الحصري، قد «تلقى أفضل ما أتيح من تعليم تقليدي، فتعلم العربية والشريعة في المدرسة الإسماعيلية بحلب، وقضى شطراً من شبابه في مصر، يدرس في الجامع الأزهر علوم الشريعة والعربية، ونال الإجازة على يد شيوخ مشهورين، وقد عاد إلى حلب، فعمل قاضياً في مختلف مدن الولاية، ونجح في الامتحانات الضرورية ليتأهل لمنصب رئيس محكمة الاستئناف في صنعاء.

ولكثرة تنقلات والده في أرجاء الإمبراطورية العثمانية، فإن تعليمه في مراحل الأولى لم يكن مستقراً وقد تركت هذه التنقلات أثراً عميقة من الذكريات والانطباعات المتنوعة. فقد قدر له، أن ينتقل - خلال السنوات الاثنتي عشرة الأولى من حياته- بين المدن التي عُيِّن فيها والده للقضاء، فمن صنعاء إلى طرابلس الغرب، إلى أضنة وأنقرة واستنبول، وكان خلالها يستكمل تعليمه من إخوته الكبار، فقد تعلم القراءة والكتابة باللغتين التركية والفرنسية إضافة إلى اللغة العربية التي أولاهها اهتماماً خاصاً فيما بعد.

وفي العام ١٨٩٢ ألحقه والده بالقسم الداخلي في المدرسة الملكية باستنبول «التي كانت في ذلك الحين إحدى بؤر الاختمار الفكري» فقد كانت مخصصة للتدريب الحديث في الإدارة العثمانية وقضى فيها سبع سنوات، كان لها أثرها العميق في حياته الفكرية،

ل عنايتها بالمعارف العلمية والأساليب التربوية الحديثة وكان بين مدرسيها أنصار متحمسون للإصلاحات وفق الأفكار الليبرالية الغربية، وعلى أفكار الفلسفة الوضعية الفرنسية والقومية الأوروبية كما استحوذت على اهتمامه: الطريقة العلمانية في تدريس المسائل الاجتماعية.

وقد كان ولعه شديداً بالعلوم الرياضية والطبيعية في المرحلة العليا من دراسته، فقد أخذ يواصل نهائياً الدراسات المقررة. وينفق الليالي في الغوص في دنيا العلوم، فكان يستعير من

تركزت جهود ساطع الحصري في دمشق على تعريب التعليم بعد أن عين مديراً عاملاً للمعارف، فقد فعلت سياسة التتريك فعلها، ولا بد من جعل اللغة العربية لغة رسمية في المدارس والدوائر والدواوين، وتم ذلك التحول بسرعة بعد أن أحدثت الحكومة العربية دورات خاصة للموظفين يتعلمون من خلالها الكتابة بالأسلوب العربي

طلاب مدرستي الهندسة وأركان الحرب المتعلقة بالرياضيات العالية والهندسة التحليلية فينكب على حل المسائل الرياضية العويصة، حتى أصبح رفاقه في المدرسة يلقبونه بأرخميدس كما بلغ ولعه بالعلوم الطبيعية حد النهم، فصار يتوسع في مواضيعها توسعاً كبيراً، فيعنى بتشريح الحيوانات وتحنيطها، ويجراء التجارب على زراعة شتى النباتات.

لم يكن اهتمامه بالعلوم الطبيعية اهتماماً أكاديمياً محضاً، وإنما كان يقترن بإيمانه العميق بأن نشر المعارف العلمية بين أوسع فئات الشعب، سيكون مقدمة ضرورية لإعادة تركيب الوعي الاجتماعي. الذي يجب أن يتقدم -في رأيه- على سائر الإصلاحات فلم يشأ بعد تخرجه بدرجة امتياز عام ١٩٠٠. أن يشتغل بالوظائف الإدارية التي تخولها له شهادته. وإنما قدم طلباً لوزارة المعارف العثمانية لتعيينه مدرساً للعلوم الطبيعية في المدارس الثانوية.

وقد تم له ما أراد، فالتحق بإعدادية مدينة يانينا -اليونانية حالياً- كمدرس للعلوم الطبيعية، حيث أمضى خمس سنوات أولى فيها مادته اهتماماً عظيماً متبعاً طرقات مشوقة في تدريس مادته لقناعاته بجداها في توسيع الآفاق الفكرية، وكان «يؤكد أن العمل ليس مجرد واجب وطني. وإنما هو بهجة بحد ذاته، واندفع الشباب المشغوف بمربيه، يهب كل قواه للتعلم. أملاً في التعويض عما فات خلال عقود، وربما خلال قرون».

وقد أوغل عميقاً في العلوم الطبيعية بحثاً ودراسة واستقصاء وإضافة إلى طرق مبتكرة في التعليم، وقد أثمرت جهوده خمسة كتب في مجالات العلوم كان يعتمدها في التعليم، كما تقدم بها إلى وزارة المعارف فأقرتها في جميع مدارس السلطنة. وهي «معلومات زراعية» «دروس الأحياء» «علم الحيوان» «علم النبات» «التطبيقات الزراعية».

ومع كل الحماس الذي أبداه في عمله أصيب بخيبة أمل كبيرة بعد أن اصطدم بمعوقات كبيرة حالت دون طموحاته العريضة، فقد ازدادت الأوضاع سوءاً. وازدادت الرقابة على المدارس والصحف التي كان يكتب فيها، وعلى الكتب التي كان يؤلفها على الرغم من تركيزه على القضايا العلمية والتربوية «وقد انعكس الجو الذي كان سائداً آنذاك في نظام التعليم العثماني في عبارة هاشم باشا وزير المعارف في عهد عبد الحميد الشهيرة «ما كان أحسن عمل الوزارة لو لم تكن هناك مدارس أبداً».



الهوية الحائرة

كان ساطع الحصري يدرك المخاطر التي تعصف بالإمبراطورية العثمانية، من جراء الفساد المستشري في بنية الدولة ومؤسساتها. وسوء معالجة الأوضاع، إضافة إلى أطماع الدول الكبرى. فقد لمس عن قرب خلال السنوات التي أمضاها في أقصى الغرب من الإمبراطورية تلك النزاعات الدامية ودوافعها وأغراضها. «وكان ومعاصروه من شباب الدولة العثمانية المتنورين، يرون أن المساهمة النشطة في القيام بإصلاحات لتحديث البلاد والحفاظ على الجامعة العثمانية هما الأداة الوحيدة لدرء خطر الدول الكبرى الطامعة» بعد تدخلها في الشؤون الداخلية للدولة وفرض اتفاق «مورستيج» أخضعت من خلاله ولايات البلقان لنظام دولي خاص، وضعته روسيا والنمسا بالاتفاق مع الدول الكبرى، غير أنه لم يفقد الرغبة والأمل بالإصلاح، فتقدم بطلب إلى وزارة الداخلية يبدى فيه رغبته بالعمل في إحدى الولايات التي تدار باتفاقية مورستيج» فعين قائمقاماً في المنطقة الإيطالية في المنطقة النمساوية من الأشراف الدولي، واستمر في عمله هذا مدة سنتين حاول خلالها القيام بالعديد من الأعمال الإصلاحية. ثم نقل بعد ترفيعه إلى قضاء فلورينا داخل المنطقة الإيطالية من الأشراف الدولي، وهناك «رأى شعوب البلقان تتقاتل فيما بينها حول قضايا قومية بطرود أشد من قتالها

مع الأتراك، فاستخلص من ذلك: أن فوارق اللغة والثقافة أعمق بين الأمم من فوارق الدين» وهكذا اشتد وعي ساطع الحصري بعمق الفكرة القومية في النفوس، هذه القوة القادرة المحركة في التاريخ» بعد ثماني سنوات قضاها في البلقان ساهمت في نمو وعيه السياسي والفكري، وفي هذه الأثناء حدثت ثورة ١٩٠٨ بقيادة (الشبان الأتراك) أو ما عرف بـ (تركيا الفتاة) و (جمعية الاتحاد والترقي) وكان ساطع الحصري معجباً بآراء مدحت باشا الدستورية، وبشعارات التنوير التي أطلقتها الحركة ظناً منه أنها الحل الأمثل للإصلاح والنهوض وتحقيق فكرة الجامعة العثمانية التي تقف في وجه الأطماع الدولية، فعاد إلى العاصمة وتولى التعليم في معاهد عالية، وعاد إلى التأليف في مجالات التربية وعلم الاجتماع، كما عهد إليه بإدارة مدرسة (دار المعلمين) بالقسطنطينية فأعاد بناءها على أسس جديدة تتفق مع آخر إنجازات العلوم التربوية.. وراح يشيع بين التلاميذ مبادئ كانت غريبة على تركيا آنذاك، ومبادئ التعمق في التفكير والجدية في العمل، وصار نداؤه (العمل بدون فتور) أشبه بأنشودة تترنم بها شفاه كل تركي متعلم، كما قام بجولة في البلدان الأوربية للإطلاع على منجزات العلم والفكر والتربية.

زار جنيف ولوزان وزيورخ وباريس ولندن وبروكسل وميونخ وبرلين، واطلع على أحوال التعليم في مدارسها ودور معلميهما وما يطبق منها من نظم تربوية جديدة بأن تحتذى» غير أنه سرعان ما اصطدم بسياسة التريك والطغيان الاتحادي الذي فاق ما قبله، فبدأ اتصالاته مع العناصر العربية في جمعية المنتدى الأدبي، كما جاءت استقالاته من منصب مدير (دار المعلمين) بعد سجال في الصحافة مع (ضيا كوك ألب) الدماغ المفكر للقومية التركية كان محط اهتمام لإنتلجنسيا العثمانية، وتحول -على حد تعبير مؤرخ تركي إلى واحد من أكثر معارك العصر إثارة وأبعدها صدى وجاءت جريمة جمال باشا السفاح لتضع حداً نهائياً للرابطة العثمانية التي كان يؤمن بها الكثيرون، لأن الذين لقوا حتفهم على أعواد المشانق كان ثمة أصدقاء مقربون له، ومنهم المؤمنون بالدعوة العثمانية مثل (عبد الكريم خليل) الذي اقتصر نشاطه في سنوات الحرب العالمية الأولى على المضمار التربوي، فغادر ساطع أرض الدولة التركية بعد انتهاء الحرب، لينضم إلى الركب القومي العربي رافضاً كل النداءات والإغراءات لبقائه في تركيا حينها كتب أحد الكتاب المشاهير من الأتراك في صحيفته (وقت) بعد أن غادر ساطع تركيا، كتب يقول: (اليوم

شعرنا بانفصال سورية عنا) كان ساطع الحصري في التاسعة والثلاثين من العمر حين وصل إلى دمشق التي كانت تعيش أفراح قيام الدولة العربية بقيادة الأمير فيصل بن الحسين، وكانت شهرة الحصري قد سبقته إلى وطنه، فاستقبله الأمير فيصل قائلاً: (كلما كنت أقرأ لك وأسمع عنك كنت أتخيلك شيخاً متقدماً في السن، ولقد سررت جداً من مشاهدتك هكذا، من حسن حظ الأمة العربية، سيكون أمامك مجال واسع لتخدمها في حياتها الجديدة.

تعريب التعليم في سوريا

تركزت جهود ساطع الحصري في دمشق على تعريب التعليم بعد أن عين مديراً عاماً للمعارف، فقد فعلت سياسة التتريك فعلها، ولا بد من جعل اللغة العربية لغة رسمية في المدارس والدوائر والدواوين، وتم ذلك التحول بسرعة بعد أن أحدثت الحكومة العربية دورات خاصة للموظفين يتعلمون من خلالها الكتابة بالأسلوب العربي وألفت لجاناً مهمتها البحث في أمهات الكتب العربية ووثائق الحكومة المصرية لتثبيت مصطلحات عربية خالصة، كما تم إنشاء شعبة للترجمة والتأليف تتولى ترسيخ اللغة العربية ونقل العلوم الهامة من الثقافات الأخرى.

«واستعانت بأساتذة اللغة العربية وأدبائها من جميع أنحاء البلاد العربية».

لقد وجد ساطع الحصري نفسه، فانكب بعمل دؤوب لا يعرف الكلل، على إصلاح التربية وإشادة مؤسساتها. فوسع أعمال ديوان المعارف وأحدث المجمع العلمي العربي وألحقه بالديوان. وأسند رئاسته إلى محمد كرد علي، وأعاد افتتاح المعهد الطبي ومدرسة الحقوق «وأحدث انقلاباً فكرياً تربوياً مصطبغاً بصبغة عربية خالصة تناسب ذلك العهد». أصبح وزيراً للمعارف في أول حكومة عربية دستورية بدمشق، تعمل على قيام الدولة العربية الواحدة، لكن الطغيان كعادته بدأ يتربص بقيم الخير والأحلام الجميلة.

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى أصبحت بريطانيا وفرنسا القوتين المؤثرتين اللتين تسيطران على الأوضاع في الشرق الأوسط والوطن العربي، وتقتسمان النفوذ حسب مصالحهما الاستعمارية، وبدت المنطقة

العربية مكشوفة تماماً أمام الهيمنة الاستعمارية بلا نصير يناصرها داخلاً وخارجاً غير الحكومة العربية الوليدة في دمشق إلا التي لم يترك لها المجال للتنفس، وجيشها الناشئ

الذي لم يستكمل بناءه، فما إن أعطى مؤتمر «سان ريمو» الحق لفرنسا بالانتداب على سورية ولبنان حتى تحرك الجيش الفرنسي لاحتلال البلدين وعلى مشارف دمشق جرت واحدة من أغرب المعارك، حين قرر وزير الدفاع يوسف العظمة أن لا يدخل الفرنسيون دمشق إلا على جثته، وبعد معركة يائسة وغير متكافئة أشهر سيفه وهجم على إحدى الدبابات الفرنسية وراح يهوي عليها بسيفه بينما كان رصاص رشاشها يمزق جسده.

ودخل الفرنسيون دمشق، وأمروا فيصلاً بمغادرة البلاد، فاصطحب معه وزيره ساطع الحصري حيث أقاما في روما عدة شهور يدبران أمور مقاومة المستعمرين والدفاع عن القضية العربية في المحافل الدولية.

وكان فيصل قد كلف أحد أبرع ضباطه بالتوجه بالمؤن والذخائر والأموال إلى الشيخ صالح العلي في شمالي البلاد وبدء المقاومة من هناك، وكان يتطلع إلى التعاون مع الأتاتوركين في مواجهة أطماع الدولتين الاستعماريتين، وفي هذه الحالة تكون خطوط إمداد الثوار بالأسلحة والمقاتلين والمؤن قريبة ومضمونة، وقد أوفد وزيره ساطع الحصري لهذه الغاية «ولكنه علم- حين وصل إلى أرض الدولة التركية- أن الكماليين كانوا في ذلك الحين مغلوبين على أمرهم، وأنهم بدؤوا يسعون للتفاهم مع الفرنسيين، كي يتمكنوا من مقاومة الإنكليز».

فعاد ساطع الحصري إلى إيطاليا وهناك كلفه فيصل بالاتصال بالأستاذ «بونفانتني» أستاذ الحقوق الدولية في روما، وتزويده بالوثائق والمعلومات اللازمة التي يحتاج إليها من أجل إعداد التقرير القانوني في القضية السورية، وقد أنهى مع الأستاذ «بونفانتني» التقرير المطلوب بعد جلسات طويلة.

وبعد أن استجاب فيصل لدعوة البريطانيين في التوجه إلى لندن توجه ساطع الحصري إلى القاهرة ليبدأ فصلاً مهماً من فصول حياته المثيرة، وكفاحه في سبيل قضية أمته ووحدتها، فقد لجأ إليها قبله جماعة من مجاهدي ميسلون، فشكوا إليه -كما لمس ذلك بنفسه- أن المصريين لا يؤمنون بالقضية العربية، ويستنكرون الثورة العربية ضد العثمانيين، وكان لهذه القضية مبرراتها يومئذ، فقد

كشفت الثورة الروسية وثائق الاتفاقيات الغربية والمعاهدات السرية «سايكس بيكو» وسربوها إلى مصر، وقد توصل بعد تفكير إلى أن هذه المواقف «نتيجة طبيعية للانعزال المادي

ما أن انتهت الحرب

العالمية الأولى

حتى أصبحت

بريطانيا وفرنسا

القوتين المؤثرتين

اللتين تسيطران

على الأوضاع في

الشرق الأوسط

والوطن العربي،

وتقتسمان النفوذ

حسب مصالحهما

الاستعمارية، وبدت

المنطقة العربية

مكشوفة تماماً أمام

الهيمنة الاستعمارية

بلا نصير يناصرها

داخلاً وخارجاً غير

الحكومة العربية

الوليدة في دمشق

إلا التي لم يترك لها

المجال للتنفس



والمعنوي الناجم عن الظروف التاريخية، وأن هذه المواقف لا بد من أن تتغير وتزول بتغير ظروف الحياة الجديدة».

وبما أن مصر سبقت البلدان العربية في مجالات التعليم باللغة العربية التي يعتبرها الحصري ركناً هاماً من أركان دعوته؛ فقد انصرف إلى دراسة النظم التربوية فيها، فتكشف له خلل اعتبره خطيراً وهو إهمال تدريس مادة التاريخ في المدارس الابتدائية وهو الذي يعتبره الركن الثاني من الأهمية في تكوين شخصية الأمة، وكذلك إهمال العلوم الطبيعية التي يعتبرها من العلوم التي تساعد على تفتح المدارك العقلية وتنمية القدرات، وقد علل ذلك في مذكراته: لأننا نحن الشرقيين ميالون إلى الخيالات والكلاميات بعوامل عديدة، أثرت -ولا تزال تؤثر- في تربيتنا منذ قرون، وهذا ما يجعلنا أشد افتقاراً من سوانا إلى العلوم التي تعدل هذا الميل فينا، وقد آثر -حرصاً على مصلحة مصر وجهها- أن يقدم للمسؤولين فيها اقتراحاته بخصوص ما يراه واجباً من إصلاحات.

في العراق

وفي العام ١٩٢١ لى ساطع الحصري دعوة الملك فيصل بعد أن عين ملكاً على العراق فتوجه إلى بغداد ليعمل معاوناً لوزير المعارف، وكان يتربح هذه الدعوة، لذلك عمد إلى دراسة تاريخ العراق وقابل العديد من الثوار العراقيين في القاهرة، كعاداته في الدراسة والاستكشاف قبل المبادرة. وحينما وصل إلى العراق ظل ستة أشهر يدرس ويستكشف ويقوم بجولات في العراق وحدد بدقة واقع البلاد، والمشاكل التي تحتاج إلى حلول جذرية للنهوض في مجتمع سكوني يتحرك العالم خارجه باطراد»، كما تصور الحلول الممكنة والعقبات التي تواجهها.

فالبritانيون كعادتهم عمدوا إلى تمزيق المجتمع العراقي، ووزير التعليم يعارض تعليم البنات والمستشار البريطاني لوزارة المعارف العراقية «جامد الفكر متعجرف الطبع» وقد عارض تعيين الحصري معاوناً لوزير المعارف لعلمه أنه سينتهج خطة في التعليم تتعارض مع النظام التعليمي الذي وضعته الإدارة البريطانية. ورفض الحصري تولي منصبه إلا بعد إبعاد المستشار البريطاني إلى فلسطين، فتدخل فيصل لدى المندوب السامي البريطاني الذي أمر بنقل المستشار البريطاني إلى فلسطين غير أن المستشار البريطاني لوزارة المالية ووزيرها «صاصون حسقيل» تأمر على الحصري، وأقنع مجلس الوزراء بإلغاء وظيفة معاون الوزير بحجة توفير النفقات، وإحلال وظيفة مدير المعارف العام محلها على ألا يشغلها إلا عراقي، غير أن الملك اعتبر الحصري عراقياً وعينه في هذا المنصب، فدأب على رفع مستوى التعليم بهمة لا تعرف الفتور فوحد التربية والتعليم في مدارس الحكومة والمدارس الأجنبية والطائفية ووجه التعليم وجهة وطنية قومية ووضع العديد من الكتب من تأليفه بين يدي الطلاب، كما ألف كتاب «أصول التدريس» وفق أحدث النظريات التربوية وطرائق التعليم، واستقدام المعلمين العرب من خارج العراق، وأثارت إصلاحاته العديد من الناقمين المتضررين إضافة إلى الدوائر البريطانية، فقرر الانصراف إلى التعليم في دار المعلمين العالية. وكان يهدف رفع كفاءة الخريجين منها، وهو الذي بادر بتأسيسها من قبل لتأهيل المعلمين. لكن البريطانيين رأوا في دار المعلمين بؤرة الاختمار الوطني. فألحوا على إغلاقها إلى أن أغلقت، فتولى رئاسة كلية الحقوق وبدأ العمل على تطويرها، غير أن وفاة الملك فيصل حدت من

نشاطه، وأفسحت المجال أمام الناقمين عليه، فتم تعيينه مديراً للآثار القديمة والقصد إبعاده عن النشاط التربوي، كما بدأ الخلاف بينه وبين نوري السعيد وعبد الإله المتواطئين مع البريطانيين، وبعد ثورة رشيد عالي الكيلاني وإخفاقه، انصبت عليه النقمة، فاقتيد إلى قطار متوجه إلى حلب فوصلها مجرداً من حقوق التعاقد والمعاش.

أمضى الحصري عشرين عاماً في العراق، بعد أن درس قواعد النهضة التعليمية والثقافية وفجر النزوع القومي في أجياله، وقد سجل تجربته في كتابه الضخم مجلديه والبالغ ألفاً ومئتين وخمسين صفحة، والذي استقينا منه هذه المعلومات.

استقر ساطع الحصري في بيروت مخلفاً وراءه في العراق مكتبته الخاصة، على غناها ووفرة مصادرها ومراجعها التي يحتاج إليها، والتي وصفت بأنها من أغنى المكتبات، كان يشعر بالمرارة لفقدائها، خاصة بعد أن قرر إعادة الاعتبار لعالم الاجتماع العربي «ابن خلدون» الذي كان من أحب الشخصيات التاريخية إليه، وكان ابن خلدون قد تعرض لحملة ظالمة من الدارسين الغربيين والعرب على السواء، ففي خطبة ألقاها وزير المعارف العراقية على المعلمين العراقيين، دعا فيها «إلى نبش قبره وإحراق كتبه» لأنه نعت العرب بأوصاف تحقر من شأنهم، وقد كتب الحصري يومها عدة مقالات نشرها في العراق ولبنان، نفى هذه التهمة عن العلامة العربي الذي هاجمه لصوص البادية وقطاع الطرق في أسفاره. وذكر هذه الحوادث في مقدمته، وبين الحصري أن أوصاف العرب في المقدمة إنما تعني هؤلاء الأعراب الذين أثرت فيهم قسوة البادية ولم يعرفوا الحياة الحضرية، أما الغربيون ومن خلال تمرركزهم ونكرانهم لجهود الآخرين الحضارية وتعاليمهم على علوم الأقوام الأخرى فقد كانوا يقللون من شأن ابن خلدون كمؤسس لعلم الاجتماع، متهمينه بالجبرية، وقد فند الحصري هذه

المزاعم الظالمة: «ففي بحثه المقدم إلى المؤتمر الخامس عشر لعلم الاجتماع -اسطنبول ١٩٢٥- انتقد الحصري آراء الباحث الفرنسي «جاستون بوتول» الذي اتهم ابن خلدون بالجبرية بالاعتقاد أن الأمور في الطبيعة والمجتمع تحدث بحكم القضاء والقدر، وبتصديق الروايات التاريخية الشائعة بين عامة الناس».

ابن خلدون

يعتبر الحصري: أن العرب المعاصرين مقصرون في حق ابن

خلدون الذي يعتبر من أعظم المفكرين متأثرين بدعوات الشعوبيين الذين كانوا يهاجمون العرب تأسيساً على الفهم الخاطئ الذي ورد عند ابن خلدون، لذلك انكب على دراسة مقدمته دراسة مستفيضة ورائدة أثمرت كتاباً من جزئين تحت عنوان «دراسات عن مقدمة ابن خلدون» وصفه الدكتور جميل صليبا بأنه، «قد أدى خدمة لذكرى مؤلفها العظيم، وأنه أثبت في دراساته النفسية: أن ابن خلدون هو مؤسس فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع معاً، وأنه جاء قبل عصره بأجيال، وأنه أول من عالج القضايا

الاجتماعية بأسلوب علمي، وأول من تكلم عن أثر الحياة الاقتصادية في تطور التاريخ، وأول من قال بخضوع الحوادث الاجتماعية لروابط طبيعية ضرورية، وأول من تكلم عن الرابط الاجتماعي، وأوضح تكون الجماعات والدول وبحث عن طبائع الأمم وسجاياها» وبلغ من تقديره لابن خلدون أن سمى نجله باسمه، وكان من أحب الأسماء إليه ويشعر بالغبطة عندما ينادى «ابن خلدون».

وقد أسهب في الحديث البليغ عن مكانة ابن خلدون في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع وقارنه بأعلام فلاسفة الاجتماع، كما قارن مقدمته بـ «روح القوانين» لمونتسكيو ولا يتردد قارئ ذلك الكتاب الأنفس في الحكم بأن ابن خلدون أحق من أوغست كونت بلقب مؤسس علم الاجتماع. وعندما شرع في كتابة الجزء الثالث عن المقدمة، تلقى دعوة من الحكومة السورية للعمل على إصلاح معارف البلاد، وذلك في أواخر العام ١٩٤٣ عندما بدأ الوطنيون يتسلمون مقاليد الحكم فلبى الدعوة مسروراً بعودته إلى وطنه، بعد أن انتزعت القوات البريطانية والفرنسية سوريا ولبنان من قوات الجنرال فيشي الموالي لدول المحور، وقررتا استقلال البلدين.

تسلم ساطع الحصري وظيفة مستشار لوزير المعارف. ومن ثم انهمك في دراسة كافة الشؤون المتعلقة بالتربية والتعليم والثقافة العامة والآثار، واتفق مع رئيس الوزراء آنئذ على توثيق وتنظيم العلاقات الثقافية ما بين سوريا والبلاد العربية لتحقيق الوحدة الثقافية التي كان يراها إحدى الخطوات نحو الوحدة الشاملة، وتعريب النظام التربوي تعريباً كاملاً.

«واجتثا ما علق به من شوائب الانتداب الفرنسي». وقد أجرى مشاورات عامة مع كافة العاملين والمهتمين بالتربية والشؤون الثقافية، في الليل والنهار إلى أن أنهى ستة عشر تقريراً في إصلاح التعليم، وصفت بأنها أحدثت دويماً في أرجاء الوطن العربي، استفرغ فيها جهده وخبرته، وظل في

استقر ساطع

الحصري في بيروت

مخلفا وراءه في

العراق مكتبته

الخاصة، على غناها

ووفرة مصادرها

ومراجعها التي

يحتاج إليها، والتي

وصفت بأنها من

أغنى المكتبات،

كان يشعر بالمرارة

لفقدائها، خاصة بعد

أن قرر إعادة الاعتبار

لعالم الاجتماع

العربي "ابن خلدون"

الذي كان من أحب

الشخصيات التاريخية

إليه

عمل دؤوب مدة ثلاث سنوات استكمل فيها مشروعه التعليمي، اعتبرها كامل عياد «عملاً جباراً كان له أعظم النتائج وأعمق الآثار في تطوير سورية وتقدمها الثقافي» إلا أن الفرنسيين الذين ناصبوه العداء من قبل، أثاروا ضده المتغربين والناقمين، وخرجت مظاهرات طلابية ترفع شعارات العداء لإصلاحاته فقرر الاستقالة من منصبه وغادر البلاد نحو بيروت ومن ثم القاهرة، التي وصلها في الخامس والعشرين من شهر شباط ١٩٤٧.

تركزت جهود ساطع الحصري في القاهرة على استكمال منظومته الفكرية في القومية العربية حيث ألف أهم كتبه، وإلقاء محاضرات هامة في هذا الموضوع، والرد على دعاة الإقليمية والانعزالية.

والنزعة الفرعونية، وغيرها من الحركات، إضافة إلى أعماله الوظيفية في الجامعة العربية ولجانها، وإدارته لمعهد البحوث والدراسات العربية العالية الذي أنشئ بمساعيه والعمل على إصدار حوليات الثقافة العربية التي جاءت في ستة مجلدات ضخمة في كل منها أكثر من خمسمائة صفحة، وهي شبه موسوعة تضم مجموعة من المعلومات والوثائق الأساسية عن أوضاع التعليم والاتجاهات الثقافية في مختلف أقطار الوطن العربي، وكان هدفه من هذه الحويلات، إزالة الفوارق الثقافية بين البلاد العربية، لأن الوحدة الثقافية والتربوية عنده مقدمة لا بد منها للوحدة العربية، كما كان يؤمله، أن الثقافة في الوطن العربي «متنوعة تنوعاً شاذاً» وبصورة خاصة تلك الأقطار التي كانت ترزح تحت نير الاحتلال

ومن خلال هيمنته، يوجه الثقافة والتربية وجهة تخدم مصالحه على حساب المصلحة العليا للأمة العربية، وبالتالي فإن نظم التعليم واتجاهات الثقافة في تلك الأقطار، لم تكن نتاج طبيعة البلاد الأصلية، إنما كانت من نتاج السياسات الأجنبية المسيطرة. وأن المصلحة العربية تقتضي إزالة كافة الفوارق الثقافية والتعليمية، وأن نهوض الثقافة وتوحيد النظم التربوية المنتجة للثقافة سيؤدي بالضرورة إلى توحيد الأمة.

كما ساهم في إنشاء متحف الثقافة العربية، ومهمة المتحف عنده: إظهار الفروق القائمة بين نظم التعليم ومنهاج الدراسة في مختلف البلاد العربية، للسعي من أجل إزالة تلك الفروق. لتستفيد الدول العربية من تجارب بعضها من هذه الميادين.

أما عن المحاضرات التي ألقاها بالقاهرة، فقد اعتبرت «فتحاً» بيناً في تاريخ الدعوة القومية في مصر» التي تنبأ لها منذ

الثلاثينات بأنها ستكون الرائدة والقائدة في هذا المجال وإن تأخرها من وجهة نظره التي تعتمد اللغة والتاريخ أهم عاملين في تكوين الأمة. ومما لا شك فيه أن مصر كانت سباقة في تعريب التعليم، أما من حيث التاريخ وتأخر فاعليته، فيعود لما كان يدرس في المدارس الثانوية والعالية «كان الاهتمام ينحصر بدورين من تاريخ مصر، في البداية تاريخ المصريين القدماء وفي النهاية تاريخ أسرة محمد علي، وأما ما حدث في مصر بين هذين التاريخين، فكان يهمل إهمالاً غريباً».

كان في الثامنة والثمانين من عمره حين وضع لنفسه خطة عمل يستكمل فيها تسجيل تجربته الطويلة بثلاثة كتب عن مذكراته في تركيا وسورية ومصر، غير أن القدر لم يمهله فاختاره الله إلى جواره في الأيام الأخيرة من العام ١٩٦٨. وبرحيله فقدت الأمة العربية واحداً من أخلص أبنائها أمضى عمره المديد في خدمة قضاياها بعزيمة لا تلبين، ولا تعرف الكلل واليأس.



جامعة دمشق ١٩٢٥

تراتيل آرام السوري

ما كان.. أبيضاً

هذا الثلج

بيوتنا.. بلا نوافذها

و الأبواب.. نسفَعُها

و نحنُ.. تحت ركام

القصف

تئنُ.. مثلنا

من مفاصلها.

وفي الثلج..

مشى موتانا.. وحدثهم

خلف الجنازات.

هذي الشموعُ.. رَشَقَاتُ

دعنا

على ما تبقى لنا

من أجسادنا.

لم يأتها مَخَاضُ.. أُمَّتْ

مريمُ

منذ خمس سنوات،

كُنَّا.. نحنُ المُعَلِّقِينَ

على صليبٍ خلاصنا.

قصفوا التحلّ و التحلّ

اساقطت البراميلُ

فوق أحلامنا؛

اعتقلوا التراتيلَ،

ماتت صلوات أرواحنا

تحت التعذيب؛

تشظى هلالنا.. فوق

العَتَبَات.

أحرقنا أشجار ميلادك..

يا أبتى

حين ارتجفت في

أرواحنا

أجسادنا

تحت العاصفة.

ما كان ذاك.. عشائنا

الأخيرُ

حتى مِتْنَا.. من جوعنا

في انتظار قِيَامَتِكَ.

احتشدت القَاجَرة..

بالمُخَيَّمَات؛

و ما كُنَّا.. في القَهْدِ

حتى نُبْعَثَ.. من

مَوْتِنَا؛

لم ينهض يوحنا

من مقامه في الأمويِّ

لِجُمُعَتِنَا.. بدمائنا.

اختلط ماؤنا.. بالزيت

و بدمائنا.. يا أبتى

و كانت بيوتنا.. لنا

فما نجا يَبْتُ.. لنا

من تحت.. أنقاضنا؛

و كانت لنا.. بلدُ

فما وجدنا في التيه..

بلاداً

ولا.. ملائكةَ

ولا.. عِبَاداً.

باعنا الكهنوتُ..

ليلاطس

في أكفاننا البيضِ

ونحنُ.. على قيدِ

ناسوتنا.

صرنا.. نَعْرِقُ

بين كل شاطئين

نَسَاقُطُ من قاماتنا..

جوعاً

لنصعدَ وحدنا.. إليك.

يا أبانا.. الذي فينا

وهذا القلُكُوت.. كلُّهُ

بين يَدَيْكَ؛

لم نكفُر بِكَ

حين هتفنا للحريةِ

في وَجِه الصَّاعُوت.

أَمَّتْنا بِكَ.. لنحيا

و كُنَّا منذ خمسِ

سنواتٍ

ما نزالُ.. نهُوتُ؛

و لها نزلُ.. نهُوتُ

لتحيا حريتنا.. فينا.



نجم الدين
سمان



مجلة - شعبية - مستقلة

السنة الثالثة - العدد ٨ ٢ - كانون الثاني / يناير ٢٠١٦